أدب الرحلات في إبداع محمود تيمور "شمس وليل": دراسة في التشكيل الجمالي للوصف

د. شيماء عبد الرحمن
مدرس بقسم اللغة العربية
كلية الألسن- جامعة عين شمس

Expedition Literature of Mahmoud Taymour's work "Shams *Wa Leil".* Study in the Aesthetic Composition of the Description

Expedition Literature is an important component of the Arabic literature. In that type of literature, the author records detailed customs and behaviors of different peoples.

Shams Wa Leil is one of Taymour's works in which he gathered a lot of descriptive images for his travelling to Sweden. That descriptive image comes out by the writer through the splendid nature and his own observation.

Mahmoud Taymour devoted the descriptive images to mention the place as a reflection of the real life through allocating voice, motion and different grades of colour.

أدب الرحلات في إبداع محمود تيمور "شمس وليل "
دراسة في التشكيل الجمالي للوصف

أدب الرحلة رافد من روافد الأدب العربي؛ يقوم فيه الرحالة بوصف دقيق لما يشاهده من عادات وتقاليد وسلوكيات الشعوب المختلفة؛ يعد إبداع "شمس وليل" من أعمال محمود تيمورالتجريبية؛ إذ يحشد فيها صورا وصفية كثيرة لرحلته إلى السويد استوحاها الكاتب من رؤيته للواقع، والطبيعة الخلابة. وظف محمود تيمورالوصف بطريقة تنقل المكان وكأنه انعكاس للواقع؛ من خلال استخدام اللون- بدرجاته المختلفة- والصوت والحركة.

أدب الرحلات في إبداع محمود تيمور "شمس وليل"
دراسة في التشكيل الجمالي للوصف

زخرت كتب الرحلة بالعديد من المشاهد التي حازت عناية كبيرة من القراء؛ لما احتوت عليه من عناصر جذب وإبداع، مع الابتعاد قليلا عن الأسلوب العلمي الجاف؛ حيث يتوزع الأسلوب فيها بين السرد القصصي والوصف الفني.

أدب الرحلة رافد من روافد الأدب العربي؛ يقوم فيه الرحالة بوصف دقيق لما يشاهده من عادات وتقاليد وسلوكيات، وطريقة مأكل الشعوب المختلفة ومشربها وملبسها؛ لذلك يزخر النص الأدبي بالوصف الذي يتناسب مع التجربة التي يمر بها الكاتب.

ولقد تعددت صور الرحلات المختلفة وأهدافها؛ فكانت في بعض مراحلها زيارات سياحية في محيط العالم العربي نفسه، أو بعثات للدراسة في الجامعات الغربية، أو زيارات سريعة لعواصم العالم، وتلك جميعها تعطي الكاتب مزيدا من الوعي في معرفة قضايا المجتمع والانسان، وإذا كان من غايات الكاتب أن يكتشف العالم من حوله؛ فالأولى أن يرى أمته العربية والإسلامية، فلا تقتصر خبرته على مكان واحد، أو على مسقط رأسه؛ بل لابد من رحلة واسعة للبلاد العربية والإسلامية" ولهذه الرحلات آثار تختلف عن آثار الرحلات الأخرى إلى عوالم الغرب. وكلتاهما تساعد الكاتب في معرفة وجوه جديدة وفهم أعمق للكثير من المسائل الاجتماعية والسياسية في وطنه الأم"١ فعلاقة السياسة بالأدب وثيقة جدا، وقد توصف السياسة بأنها عقل الوطن، كما أن الأدب هو روحه، وضميره الحي.

يفقد الأديب الذي يكتب عن العالم العربي الكثير إذا درسه مقيما في مكان واحد منه فقط، دون أن يتجول ويرى بعينه، ويسمع من الشخصيات المختلفة الحاضرة؛ فلا يكتفي بأن يسمع عنها، ولكن يسمع منها؛"فهذه الطوابع الانسانية المتباينة بين الصحراء والمدينة،وبين الشمال عند البحر الأبيض، والجنوب عند الدمام، هذه النفس العربية الإنسانية الموحدة أساسا من حيث رابطتها باللغة والفكر، لها مشاعر متنوعة، وآثار متعددة وأشواق متباينة، ترتبط بالأرض وبالجو وبالإقليم، وإن كانت جميعها مجتمعة أساسا في كيانها الروحي والعقلي الواحد"٢، فالوضع يكون غير مكتمل أمام الكاتب حتى يسمع ويرى بنفسه؛ يتصل بالثقافات والعقول المختلفة التي تزخر بالكثير من الخبرات الحياتية الواقعية .

وباستقراء أدبنا العربي الحديث نجد أن أكثر الكُتاب قراءة وصلة بالناس، ورحلة في بلدان العالم- هم أكثرهم قدرة على الفهم العميق للإنسان، والحياة من حولهم، وأعمقهم وعيا بالحقائق، وإدراكا للحلول، والإجابات عن كل ما يتصل بقضايا الانسان المعاصر ومشاكله.

وقد حفلت كتب الرحلة بأنواع من الرحلات مختلفة الهدف؛ فقد أدرك العرب والمسلمون أهمية التجربة، والرحلة في عمل الكاتب والعالم؛ فارتادوا الآفاق وذهبوا إلى أقصى الأرض؛"ذهب البخاري في رحلته الواسعة باحثا عن النص الموثق للحديث، وذهب الغزالي باحثا عن الحقيقة، وذهب ابن بطوطة باحثا عن الحضارة، وذهب ابن خلدون باحثا عن أصول

الاجتماع، كما رحل اللغويون إلى البادية لجمع اللغة، وكذلك فعل الأطباء لجمع الأعشاب للتداوي، أما البداية الحقيقية للرحلة؛ فهي رحلة الشعراء العرب من أجل أهداف مادية ومعنوية، أو لغير ذلك"٤

وهكذا ظل الرحالة يرتحلون من إقليم إلى آخر،و ظلت السير الشعبية تروى في البلاد العربية، وتناقلت الحكايات عن البلدان، بعد أن صيغت بطريقة أدبية، ثم ظلت التقاليد والعادات العربية حية في ضمائر الشعب، يخلدها الرحالة بكلماتهم.إذ تختصر الكلمات عالما كاملا من الآمال والمشاعر،والأفكار،" وتحتضن حروفها الصغيرة التواريخ القديمة، والآثار الدراسية، وقد دبت فيها الحياة تحت وقع العين العربية التي تترقرق في مآقيها الأمجاد، والذكريات فينهض الماضي وقد امتزج بالحاضر بصورة تكشف لنا أبعادا جديدة في هذا الماضي، وتزيدنا فهما للحاضر"٥

ولم تقف الرحلة عند هذا الحد في البلاد العربية؛ بل أضاف الرحالة رصيدا هائلا من رحلات خارج نطاق المنطقة العربية؛ من بيئات مختلفة من الناحية الاجتماعية، والسياسية، والثقافية؛ فيرى كاتب الرحلة * الأمم الأخرى بعين كاشفة للحقائق، تساعده في فهم النفس الإنسانية في كل مكان؛ "فالتعرف على الخبرات من أصحاب المهن المختلفة من ذوي الخبرات المتعددة في ميادين الطب، والقانون، والعلم، والأدب، والتجارة، والزراعة يقدم خلاصة من التجربة الواقعية المعاشة على أرض الواقع؛ إن العلاقة بين حياة المجتمع، والخلق الأدبي لا تتصل بمضمون هذين القطاعين من الواقع الإنساني عموما؛وإنما تتصل بالأبنية العقلية أساسا" ٦

وإذا كانت موضوعات كتب الرحلة تتسع لتشمل التاريخ، والجغرافيا، والدين، والاجتماع، والسياسة؛ فإنها تُعنى" بالوصف الدقيق، والتصوير الأمين، والنقل الصادق، بدافع تحري الدقة تحريا علميا موضوعيا، وهي عندئذ تتحلى بالابتعاد عن الهوى، والميل، والغرض الذاتي؛ إذ إن منهم من لم يقبل الأخبار دون غربلة، أو دون التأكد من صحتها، ثم إن مثل هذه الكتابات كانت تصدر عن التزام مفاده أن العرب أمة واحدة ذات حضارة إنسانية عالمية"٧ ينبغي لها أن ترجع مرة أخرى إلى مكانها ومكانتها، ولن يحدث هذا إلا بتوحيد العرب، كي ينهض الشعب العربي، ويسعى لتحقيق ذاته وحقه في الحياة التي تليق به .

كما يتسم أدب الرحلة بعدد من السمات المشتركة؛ مثل الشمول والتعدد، وهما سمتان واضحتان في معظم ما كُتب في هذا الميدان؛ ذلك أن بلدان العالم تضم شعوبا كثيرة تختلف في الصفات والخصائص؛ نظرا لاختلاف الظواهر الطبيعية ؛ فهذه المنطقة تتمتع بجو معتدل، وذاك حار، وذلك بارد، وهذاميدان زاخر بأسباب الحياة، وذاك جدب، وغيرهما ساحلي؛ فاختلاف الظواهر الطبيعية في بلدان العالم جعل البشريختلفون عن بعضهم في الطبائع، والمهن وكذلك في السلوكيات وغيرها، كما يختلفون حضارة وبداوة، فهؤلاء هادئون إلى حد، وأولئك ثائرون إلى غير حد، وهؤلاء يصطنعون التجارة، وأولئك يزاولون الصناعة، وقد تجد منهم من له حظ من الزراعة، وعين الكاتب كاميرا تصور كل هذه الاختلافات وتحاول تقريب الصورة إلى ذهن المتلقي من خلال الوصف .

شمس وليل:

يعد إبداع "شمس وليل" من أعمال محمود تيمور* التجريبية؛ إذ يحشد فيها صورا وصفية كثيرة لرحلته إلى السويد، استوحاها الكاتب من رؤيته للواقع، والطبيعة الخلابة" فاضطره ذلك أن يُرهف من فطنته، ويُذكي من يقظته، ويتوخى الجوهر والصميم، حتى يلتقط أكثر ما يلتقط في الوقت القصير، والفرصة الخاطفة، ومن ثم اكتسب المسافر سرعة الانتباه، وقوة الملاحظة"٨

"شمس وليل "هوحصاد بعض السفرات والأيام؛ فما يقدمه الكاتب من مشاهد لرحلته؛ ليس فصولا في كتاب، أو مشاهد مسرحية؛ إنما هو رحلة عبر الزمان والمكان؛ رحلة في ميدان ثقافي، ومعرفي مختلف عن ميدان الثقافة العربية؛"إنه ليخفّ إلى عوالم أخرى غير عالمه؛ ليجتلي مشاهد جديدة لم يرها من قبل، ويتملى وجوها غير التي ألف أن يُطالعها صباح مساء، ويصغي إلى نغمة طريفة تذهب عنه الضجر بنغمته المطولة التي لم تعد تثير فيه انتباها، ولا هزة،إنه لينسرح في بقاع تُشْهده الشمس في حلة قشيبة، وتريه الليل في إهاب ليس له به عهد، وتنشقه من نفحات النسيم ما يهدي إلى صدره الاطمئنان والانشراح " ٩؛ وهنا يأتي دوراللغة؛ لإعادة إنتاج تجارب حية عاشها محمود تيمور في السويد، وانفعل بها، فاستخدم الصورة الوصفية وسيلة لنقل هذه التجارب؛ فدراسة"النسيج اللغوى للنص يميط اللثام عن أعماق الذات المبدعة، ويضيء جوانبها المستترة"١٠.

ونعني بالوصف هنا الوصف العاطفي؛ الذي يصور عاطفة الكاتب، والحالة الوجدانية المسيطرة عليه، إلى جانب الأصل الحسي المادي الذي لا يغيب عن الوصف.

هذا الأصل المادي قد نقله الكاتب في إبداعه "شمس وليل" من رسالة مجملة من رسائل التعريف التي تنثر على السياح من ضيوف السويد، وقد ذكرها في شكل نقاط تلخص سمات الشخصية السويدية، بطريقة طريفة تكشف جوانب هذه الشخصية؛ فالتجانس جعل الشعب السويدي طابعا واحدا في العقلية والهدف.

١- الشعب السويدي من أكثر شعوب الأرض تجانسا واندماجا؛ فليس فيه دم أجنبي إلا بمقدار.

٢- الشعب السويدي أطول شعوب الأرض قامة؛ فإن متوسط طول الرجل خمس أقدام وتسع بوصات.

٣- الشعب السويدي من أقدم الأمم الأوربية حضارة؛ فمجده عريق مؤثل، وعمره يستغرق من السنين عشرة آلاف.

٤-الشعب السويدي لا يتعجل الزواج، بل يؤخره إلى مرحلة الرجولة والنضج، ولكن الزوجية على الرغم من ذلك يسرع إليها الانفصال في أغلب الأحايين.

٥-الدولة السويدية من أوائل الدول التي اصطنعت الاشتراكية في نظام الحكم .١١

تهتم المناهج الحديثة بالربط بين النص وقائله؛ فهناك علاقة وثيقة بين" لغة الكاتب، وشخصيته بأوسع معنى لهذه الكلمة "١٢؛ فإذا كان الانسان لم يعرف الثقافة إلا عندما عرف كيف يعبر عن المعنى فى ذهنه، وإذا كان وجود الأنماط الثقافية قد ارتبط بظهور السيميائيات، " فإن العلاقة الواضحة بين اللغة والمحتوى الثقافى لا تعنى شيئا أكثر من أن للغة أساسا ثقافيا وأنها بهذا

المفهوم نظام يلتزم به أفراد المجتمع " ١٣ كما أنها نوع من السلوك الاجتماعى، أو الظواهرالاجتماعية الأخرى التي تتكون ضمن إطار ثقافة ما.

وظف محمود تيمور الوصف في " شمس وليل " بطريقة تنقل المكان وكأنه انعكاس للواقع؛ من خلال استخدام اللون- بدرجاته المختلفة- والصوت والحركة، فجعل من كلماته الموحية خطوطا تعطي قيما جمالية فنية تضاهي القيم التي تزخر بها الصورة على أرض الواقع " فما يراه الإنسان في أي بلد غريب عليه هو في أحسن الأحوال مزيج من واقع هذا البلد، ومن تصوراته هو عنه، ومما اختزنه في ذاكرته من معارف، وأحاسيس كل هذا يمر عبر ثقافة المشاهد وحضارته "١٤،وإلى جانب ذلك يلتقط الكاتب بعينه جوهر الشخصية؛ فيركز في وصفه على أهم ما لمحه فيها من معان التقطها من خارج الشخصية وداخلها؛ بحيث يبلورالوصف أهم السمات الجسدية والنفسية في كلمات موحية .

الوصف وأدب الرحلة:

ذكر الباحثون في النقد أهمية الوصف في بناء النص الأدبي؛ فالوصف هو نتاج تشكيل هيكل النص عن طريق اللغة؛ لذلك كان الوصف متعدد الملامح والتأويلات، وأصبح للنص مستويات عدة للتلقي؛ منها الوصف الذي هو الأساس الأول الذي ينسج به الكاتب أدبه، "ثم تأتي بعد ذلك عناصر مختلفة بحيث تتضافرالجزئيات مع بعضها البعض مما يجعل الاستجابة المبدئية للعمل الأدبي استجابة عامة، فنحن نستجيب للعمل فى جملته دون وعى بأجزائه التى تتضافر معا على تشكيله"١٥

الوصف هو الأداة التي يستخدمها كاتب الرحلة من أجل بلورة تجربته بطريقة فنية جاذبة للمتلقي؛ كما يسمح أيضا بالتعرّف والمعايشة الصادقة من خلال الكشف عمّا هو مُستتر، عبر سرديات مفعمة بالوصف، والرصد لعادات، وتقاليد، وأنماط حياتية مختلفة ومتعددة، ثم تأتي المقارنات بين العلاقات الاجتماعية للجماعات، وللأنظمةالتي تُعْرف من خلال الرحلة.

تساعد قراءة ما حملته أسفار الرحالة العرب إلى بلدان العالم شرقا وغربا من أوصاف مختلفة للأماكن والأشخاص على فهم سمات أدب الرحلة، ودوره الفاعل في استيعاب أُطر التفاعل مع ثقافات شعوب العالم المختلفة، لا سيما بعد التعرّف على حقيقة الأهداف التي قصدها كثيرٌ من أصحاب هذه الرحلات مثل ابن فضلان وابن جبير، والإدريسي وابن بطوطة وغيرهم.

كما يساعد توظيف الوصف في أدب الرحلات في تحليل الخطاب الأدبي، وكشف الطرائق التي سلكها الرحالة في تصويرهم للأجناس المختلفة؛ ولعل هذا ما يُكسبه أهمية في البحث؛ فالأدب ليس أكثر من تفسير العلاقة بين الذات والموضوع أو بين الذات واللاذات،" وأن أي أدب لا يخلو من هذين العنصرين الأساسين؛ ذات الكاتب أو الشاعر، ثم ما يوجد خارج هذه الذات من الوجود الإنساني كله، وإذا سلمنا بأن كل أدب مهما تباينت ضروبه، واختلفت عصوره؛ إنما هوتعبير عما يوجد بالفعل لدى جمهور قرائه أو مستمعيه " ١٦ فإن أدب الرحلة -في العصر الحديث- يعد شكلا فنيا مستقلا بذاته.

وإذا كانت مادة البحث هي الوصف عامة، والصورة بخاصة؛ فإن وحدة الدرس هي الفن في القديم أو الحديث عند العرب. وقد ذكرت نظرية "تين" HippolyteA.Taine ١٨٢٨-١٨٩٣" أهم أسباب الاختلاف في النتاج الفني؛ حيث يرجع ذلك "إلى العوامل الثلاثة المشهورة: الجنس، والبيئة، واللحظة التاريخية؛ أي تأثير الماضي في الحاضر؛ وتقوم نظريته باختصار – على أساس يرى أن الأعمال الأدبية تمثل مخزن المستندات الموثوق بها التي توضح نوعية مجتمع ما، وكذلك فإن هذه المستندات التي تنطوي عليها الأعمال الأدبية توضح خصائص البيئة الجغرافية المحيطة بالشعب التي تحدد نفسيته، ونفسية الشعب هذه هي التي تحدد كيفية الحكم الجمالي له " ١٧

وتدرس مادة هذا الأدب بأدوات عدة تتيحها المناهج النقدية المعاصرة؛ أدوات عدة تحلل النصوص اللغوية، وتستنتج من خلال هذا التحليل الكثير من المعطيات الشخصية للرحالة، والأسلوبية في خصائص أسلوب الكاتب، والسردية في عناصر وفنيات الحكايات الواردة فيها، ودلالات ذلك الاجتماعية والثقافية والإثنوجرافية. فهناك شبه اتفاق على أن النقد" هو فن تمييز الأساليب، وبالطبع لم يكتمل هذا المفهوم إلا في العصور الحديثة "١٨

يتشكل الوصف على أساس من التعبير المجازي؛ فليس ثمة وصف من غير الخيال بمفهومه الواسع؛ فالكاتب يلتقط العلاقات بين الأشياء، ثم يبلورها في تركيب لغوي دقيق؛ حيث تملك اللغة خاصية الانتقال" من فرد إلى فرد، ومن جيل إلى جيل ومن مجتمع إلى آخر، فهى ليست مقصورة على فرد معين، أوجيل معين، وإنما تنتقل دون تدخل إرادى من الأفراد، سواء كانت مكتوبة ومسجلة، أم غير مكتوبة وشفوية"١٩

كذلك لا يمكن أن يكون للوصف كيان خارج الشكل؛ أي لا يمكن فهم نص الرحلة بمضمونه العام، دون تدبر الشكل واللغة التي احتوت وصاغت هذا المضمون، ثم بمضمونه الخاص من خلال الوصف وعناصره، وأثره في فهم المعنى؛ أي أنه يمكن عبر التحليل الأدبي بأدوات النقد الحديث استنطاقُ نص الرحلة؛ من أجل فهم الكثير أدبيا وثقافيا واجتماعيا وفكريا، لأنه له علاقات قوية بفروع المعرفة بوجه عام، وبتقنيات الأدب التي أسهمت في تغيير عاداتٍ وقيمٍ وأنماطٍ، وكذلك في النظر إلى الجديد والمفيد من الثقافات الغربية،إلى جانب طاقة المتعة والانبهار والتأمل، التي تضع أدب الرحلات في سياق خاص يدخل السرور والبهجة على نفس القارئ والناقد .

تعد الرحلة – بشكل عام – موسوعة معرفية إنسانية؛ يتطلب الرجوع إليها والإفادة منها؛ فيكون بذلك النص هو المصدر والمرجع، مما يضيف إلى جهد علماء الجغرافيا وعلم الاجتماع؛ الذين يدرسون النص بآليات مستقاة من المناهج العلمية والمعرفية في دوائر متخصصة.

والباحث في التراث العربي يجد أنه سجل حافل بالمآثر والقيم، فضلا عما يزخربه من لمحات فنية؛ "فالرجوع إلى الماضي يعتبر ارواء للجذور الأصلية، وهو أمر ضروري لاستمرار الحيوية في الفكر، والتراث العلمي بشموله الأوسع؛ لأنهما سلسلة متصلة الحلقات: اللاحق منها

متمم للسابق فالحضارة الجديدة – أيا كان نوعها – لا تولد من العدم، وإنما تقتبس من القديم، وتسهم فيه بالإضافة والتعديل، ثم تقدم حلقة جديدة من السلسلة الحضارية والفكرية" ٢٠.

والأدب تعبير عن فكرة أو خاطرة أو عاطفة أو واقع بأسلوب جميل، ودافع قوي، فضلا عن أنه يستوعب سائر الفنون؛ "فالأدب من جملة الفنون الجميلة، يشاركها في اعتماده على براعة الإثارة، وروعة الإخراج، والقدرة على الإثارة؛ ويتميز عنها بأنه تعبير مباشر عن الغرض، وأنه يتسع للدقائق والتفاصيل" ٢١

الوصف هو أحد الركائزالجمالية في أدب الرحلة، حيث ينقل مشهدا حيا، كما يبلور خبرة وتجربة إنسانية؛ وإذا كان العالم من حولنا متجددا دائما، فحري بالوصف الذي يعتمد على الواقع ويستمد منه أركانه أن يكون متجددا أيضا" فاللوحة فضاء يبدأ الفنان العمل فيه على مسطح أقرب إلى المربع ويقوم بتوزيع عمله على هيئة وحدات تشكل مستطيلات متنوعة الحجم والمساحة "٢٢

ومهما يحاول الباحث أن يستجلي جوانب التراث الفنية؛ تبقى الكثير من الجوانب ما تزال بحاجة إلى دراسة وبحث، وقد اتبع البحث المنهج الفني التحليلي مستعينا بأدوات المنهج الوصفي في التحليل واستخلاص النتائج.

جماليات الصورة الوصفية:

الوصف ظاهرة نقدية بلاغية متعددة السمات تستوجب الوقوف عندها؛ فهو عمدة البلاغة، وعماد البيان، ورأس العلاقات المجازية؛ حيث يقصد الكاتب مراده من أقصر الطرق مكثفا نصوصه بطريقة فنية.

وقد يدل الوصف على كل ما يتشكل في الذهن من تصورات عند سماع كلمة معينة ،وما يتولد أيضا من معان ذات علاقة بتجارب المتلقي السابقة، فالوصف في هذه الحالة يشيرإلى الصور التي تولدها اللغة؛ بحيث تدل الكلمات أو العبارات على المعنى المقصود من أقرب الطرق؛ وقد صرح محمود تيمور بذلك في " شمس وليل " في معرض حديثه عن أهمية الصورة الوصفية في نقل المشهد ،والأفكار الحية التي يرسمها الأديب بكلماته بأقل الكلمات وأعمق المعاني؛ "بحيث تغنيك البارقة عن أنوار متوهجة، وتكفيك الخطفة في جلاء ما يريد الكاتب أن يقفك عليه ، دون تزيد في الإبانة واستكثار من الوصف والكشف والإيضاح "٢٣

يميط الوصف اللثام عن جوانب شتى من جوانب التجربة الواقعية، حيث يزخر بالصور المرئية التي تنقل الواقع للمتلقي كأنه يراه رأي العين، ومن الملاحظ أن كُتاب أدب الرحلات قد تناول خطابهم فضاءات العالم المحيط بهم، ثم أعادوا تشكيله مرة أخرى من خلال اللغة.

فالأدب في أبسط تعريف له هو التعبير عن الواقع؛ وما الواقع إلا صورة للقوانين والأوضاع في حياة الإنسان، و في سلوكه داخل المجتمع الذي يعيش فيه؛ فإذا استطاع الكاتب أن يعبر عن حياة الفرد، وحياة الجماعة من خلال الوصف؛ فإنه لا يستطيع أن يفصل بين هذا الوصف، وحقيقة المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان أو الجماعة التي ينتمي إليها، وإلا كان الوصف في هذه الحالة غير حقيقي" فالإنسان ذو العين الواقعية تكون لديه شبه رسالة عليه أن يؤديها،

رسالة تختلف أساسا؛بل قد تتناقض تماما مع رسالة من يدين بمذهب الفن للفن؛ إن الاتجاه الواقعي يتطلب مشاركة فعالة مع تيارات التطور الكبير السائدة في عصره؛ يرفض أن يرفع الواقع إلى صورة المثالي من أجل تحقيق الجمال،أو المحافظة على كمال الأسلوب؛ فلغة الأدب عندها لا تنفر من الخوض في شؤون الحياة العادية واليومية، أو مشاكل الطبقات الدنيا، بل تتسع مفرداتها، وأساليبها لتصوير كل زاوية، والدخول إلى جميع أزقة الحياة مهما ضاقت أو صغرت " ٢٤

يجدالمتلقي للحركة النقدية في الأدب العربي شبه إجماع على ما يتمتع به أدب الرحلة من عناصر جذب وتشويق؛ حيث يستمد وصفه الفني من التجربة الحية، لذلك يبتعد الكاتب عن المباشرة والتقرير، ويتجه نحو الوصف من أجل جذب الانتباه والتشويق.

فالصورة الوصفية تجسيد للأفكار التجريدية، والخواطر النفسية، والمشاهد الطبيعية، تشكيل لغوي يكونه الكاتب من معطيات متعددة تتفق مع الواقع. كما يحاول الكاتب كشف طبيعة المؤثرات الثقافية، والاجتماعية المتعددة؛" فالثقافة الإنسانية تقوم على ثلاث مرتكزات عامة؛ أولها المرتكز الروحي وهو الدين، وثانيها المرتكز الفكري وهو العلم، وثالثها المرتكز الفني وهو الذوق" ٢٥

يعتمد النقد في الأساس على وضع المفاهيم، والنظريات موضع التطبيق؛ بحيث يحظى الخطاب بدرجة عالية من التشويق والإثارة والمتعة؛ فيوظف الناقد الأدبي اللغة الاصطلاحية بطريقة تعتمدعلى تسمية التصورات الفكرية وضبطها في إطار معرفي معين تمكنه من السيطرة على موضوعه "فوجهة النظر تخص كل فن يرتبط مباشرة بعلم الدلالة؛ أي الفنون التي تعنى بتمثيل بعض أجزاء الواقع معروضا بصفته دلالة مطابقة بالرغم من أنها تظهر بأشكال متعددة في مختلف الفنون (الأدب – الرسم- المسرح)" ٢٦.

يصور أدب الرحلة علاقة خاصة بين الإنسان وعالمه، ولهذه العلاقة قوانينها التي تميزها عن غيرها من العلاقات الفكرية، والعلمية؛" ويرجع مصدر كل هذه العلاقات – وغيرها من كافة وجوه النشاط الإنساني وظواهره – إلى النشاط العملي للبشر؛ فالإنسان كائن عامل، منتج، وعمله الواعي الهادف هو حقيقته، وهو مصدر كل صور ثقافته: فكرية، وتطبيقية، وعملية؛ فالفكر العلمي يحدد " الجوهر الإنساني " أو" الطبيعة الإنسانية " بتفاعل الإنسان مع الطبيعة وسعيه إلى السيطرة عليها، وإخضاعها بتوجيه قواها، ومواردها لصالح وجوده "٢٧.

والعمل ظاهرة اجتماعية، عمادها علاقة البشر بعضهم ببعض في مواجهة الطبيعة من حولهم؛ إذ يتولد بين الناس – وهم يسعون – علاقات اجتماعية تمثل هيكل المجتمع، وقوامه، وبناءه الأساس الذي يقوم عليه، ويعبر عنه، ويصورعلاقاته ومعارفه.

فالأدب موضوعه الإنسان في ذاته، وفي استجابته لما حوله من تحديات،" وهو شبيه بعلم النفس؛ كلاهما ينبع من الذات، ويعود إليها؛ لذلك يمكن أن يؤثر كل منهما في الآخر، ويتأثر به " ٢٨

وتجربة الكاتب هي حياته، وعلاقاته بالناس، والعالم من حوله، وبقدر ماتتسع هذه العلاقات وتتعدد، بقدر ما يضاف جديد إلى عقله وفكره، ومن ثم إلى آثاره وإنتاجه الأدبي؛

"فاندماج نماذج الإبداع الفني المتعارضة في نظرية النماذج الجمالية مرتبط بشكل واضح في مبدأ التصور الواهم للواقع؛ إلا أنه ينبغي التأكيد على أن هذا يعني الميل نحو الوضعية الطبيعية "٢٩

السرد الوصفي:

هناك علاقة تتسم بالتوافق -إن صح التعبير- بين الوصف والسرد؛ فيأتي الوصف في أدب الرحلة مكملا للسرد ومتمما إياه؛ فهو أداة من أدوات كثيرة يعتمد عليها الكاتب في أدبه.

كما ينسجم الوصف مع عنصر الزمن؛ فيقدم زمنا ثابتا داخل تطور السرد، مما يشكل توقفا مؤقتا في مسيرة الأحداث وتدفقها؛ وعندما يكون الوصف معبرا عن المشهد؛ يكون- في هذه الحالة- أفضل اقتصاد لغوي؛ ويصبح زمن السرد أكثر سرعة من زمن الرحلة.

غير أن الوظائف التي يدور فيها الوصف تؤكد أن بإمكانه أن يقوم بوظائف مختلفة قد تتجاوز أحيانا حدود عرض المشهد؛ لذلك يصبح للوصف علاقات مختلفة باختلاف الوظائف التي ينجزها؛ فيظهر تقسيم النص من خلاله؛ فيقسمها أحيانا إلى عدة مشاهد، تتداخل مع العناصر الحواسية.

وقد لا يشعر المتلقي بالوصف أثناء القراءة المتعجلة؛ وكأنه شبه منعدم؛ ويظهر ذلك في استخدام أفعال بعينها دون غيرها لوصف المشهد، فكل حدث يمكن التعبير عنه بواسطة عدد من الأفعال التي تناسبه؛ فاختيار فعل بعينه دون غيره من الأفعال"هو انتقاء لحالة وصفية تحدد نوعية الحدث، أو نوعية الوعي به أو التفاعل معه "٣٠، فالوصف هو روح النص، وقلبه النابض بالحيوية، والفاعلية الفنية؛ مما يجعل النص ينفد إلى عمق الواقع ويصور التناقضات.

ومن نماذج ذلك في إبداع محمود تيمور "شمس وليل " مجموعة من الجمل السردية المتلاحقة؛ التي لا تخلو أفعالها من الوصف السردي من خلال اللغة؛ حيث يظهرالوصف بشكل واضح تابعا للسرد، مكملا لأبعاد الصورة، ومتمما له؛ يقول واصفا لحظة ميلاد الفجر، وظهور النور بعد عتمة الليل "أهذه مخايل الفجر تسبق انبلاج النور الوهاج ؟أم هي قتمة الغروب يلوح وراءها الليل المقمر البهيج؟تلك ساعة يقف فيها النور والظلمة على الحياد، أو هما يقفان وجها لوجه متأهبين للعراك، مرتقبين اللحظة المواتية فلأدعهما يتأهبان ويرتقبان، ولأستمتع بهذا الصفاء الذي تسبغه على نفسي تلك الهدنة بين ضجة النور إذا سطع، ووحشة الظلام إذا أطبق ٣١"

في القطعة السابقة نجد عددا من الأفعال السردية" تسبق-يلوح-يقف- يتأهبان- يرتقبان "؛استخدم الكاتب الفعل" يقف" وقد كان بإمكانه الاستعاضة عنه بأفعال أخرى يمكنها تأدية المعنى السردي نفسه؛ مثل " يظهر – يتحدد – يتكون" إلا إنه فضل اختيار فعل " يقف " من بين الأفعال فأضاف بذلك للحدث وصفا يترجم الإحساس الداخلي المحقق للفعل؛ إن ما يميز الفعل هو أن مصدره" وقوفا " فهو فعل مشحون ضمنيا بدلالتين الأولى نفسية "الشموخ والعزة " والثانية مادية "الانتهاء والزوال " ومن هنا فهو يسلك مسلكا جديدا في محاولة توضيح المشهد" تلك ساعة يقف فيها النور والظلمة على الحياد".

إن اختيار الفجر بوصفه موضوعا للوصف؛ يحدد المعنى الذي يدور في ذهن الكاتب؛ فهو وصف يستخدم تنامي الأحداث المتلاحقة، ويحقق لها القدر الكافي من الانسجام اللفظي، ففي ضوء قوله "مخايل الفجر" نفهم السر في اختياره لهذه اللحظة؛ لحظة ميلاد فجر جديد معلنا بداية جديدة تحمل الكثير من إشارات الأمل والبشارة والرغبة في الحياة، وعدم الالتفات إلى الوراء.

إن تذوق الصورة الوصفية قد حولها من مجرد صورة وصفية، إلى عالم جمالي متميز؛ فندرك لماذا وصف الليل المقمر بالبهيج، ثم أتبع ذلك بوصفه للحظة الصفاء والسكينة التي تسيطر على النفس قرب بزوغ الفجر" تلك الهدنة بين ضجة النور إذا سطع، ووحشة الظلام إذا أطبق " فعندما يكون السرد الوصفي منصبا على المظهر الخارجي دون أن يكون الوصف دالا على أحداث ضمنية؛ فإن الحكاية تتوقف تماما، وبذلك نحصل على علاقة متنافرة بين محوري الكتابة والحكاية؛ أي أن محمود تيمور قد جمع بين بلاغتين؛ بلاغة المشهد،وبلاغة الصورة الوصفية التي حفل بها النص.

الوصف فكرة وشعور ولغة وخيال؛ يسعى إلى إثارة المتعة لدى المتلقي من خلال تناسب المفردات داخل الجملة الوصفية؛ فيظهر نتاج يتوحد فيه الجزئي مع الكلي؛ ليتحولا إلى صورة نهائية للمشهد تقترب من الصورة على أرض الواقع. فهو وسيلة إنسانية يشترك فيها الأديب والمتلقي لأدبه؛ فينتج الوصف من اجتماع عنصرين مختلفين كالحركة والسكون، أو الكتلة والفراغ؛ أو عنصرين متماثلين ومتباينين في آن واحد، حيث تصنع كل هذه الأشكال في وحدة المعني قيمة جمالية.

ومن ذلك وصف محمود تيمور لأماكن بعينها بصفات محددة؛ تحمل دلالات موحية بالمعنى المقصود (السجن العبوس، القلعة الشامخة- كعبة للأمان) هذه التراكيب الاستعارية كلها تجعل النص يزخر بالكثير من الوصف المنتج للدلالة النصية. وقد صرح صاحب الطراز في تعليله لقدرة الأسلوب المجازي على التأثير في نفس المتلقي" إن النفس إذا وقفت على كلام غير تام بالمقصود منه تشوقت إلى كماله، فلو وقفت على تمام المقصود منه لم يبق لها هناك تشوق أصلا؛ لأن تحصيل الحاصل محال، وإن لم تقف على شيء منه فلا شوق لها هناك، فأما إذا عرفته من بعض الوجوه دون بعض، فإن القدر المعلوم يحصل شوقا إلى ما ليس بمعلوم " ٣٢

يعتمد محمود تيمور في وصفه على أساس حسي في المقام الأول؛ فيستخدم مدركات الحس مادة أولية يبني عليها صوره الوصفية؛ يقول واصفا ظلمة منتصف الليل، استعدادا لوقت السحر وبزوغ فجر جديد "إن ضوء الأصيل يظل مضروب الرّواق على جوانب الآفاق، لا يبرح ولا يتزحزح. فإذا انتصف الليل هبطت ظلمة خفيفة رقيقة، لا تلبث أن تتقشع متزايلة أمام ابتسامة الفجر المبكر، وإنها لابتسامة تؤذن بضحكات الشمس في عرض السماء تجرر أذيالها إنك لتضيق حقا بذلك النهار المكسال، بل ذلك القعيد العنيد يتشبث بمجلسه لا يتحلحل عنه، يفتات على الليل غيرآبه ويغتصب حقه في جسارة واجتراء، والليل واقف منه وقفة الصاغر الذليل خلف الأفق" ٣٣

ينقل الكاتب ما يشاهده بعينه للحظة ميلاد فجرجديد؛ فيصور هذا الجانب المدرك أو ذاك من خلال تلك المشاهدات، بعد صبغها بكلماته، فتأتي الصورة مغايرة للواقع المادي في أجزائها التفصيلية؛ غير أنها بنيت في الأساس على هذا الواقع" ابتسامة الفجر المبكر- ضحكات الشمس- السماء تجرر أذيالها - النهار المكسال- الصاغر الذليل ". وكأن الكاتب يلتقط من الواقع جوهره؛ فيركز في تصويره على أهم ما لمحه فيه من خطوط وألوان من خلال المزج بين المفردات التي تنتمي لحقول دلالية متقاربة؛"فلا يمكن فصل الدلالة الفكرية عن الأسلوب الفني " ٣٤

وبما أن هذه الدلالة مهما اختلفت مواقف الكتاب – تشير إلى لحظة سردية معينة، أي إلى مرحلة معينة في تطور السرد فإننا نرى أن جلاء هذه اللحظة السردية هو المدخل الأنسب لفهم الصورة الوصفية؛ وهذا هو دور الناقد الأدبي الذي يفعّل أدوات مناهجه؛ من أجل فهم النص بوساطة المعطيات اللغوية والأدبية، ورغبة في أن يكون أدب الرحلة جزءا من المصادر الأدبية التي توضح حقيقة الأسلوب في عصرها، وأنماط السرد فيه.

الوصف – الحدث:

يرتبط الوصف بشكل عام بروابط مختلفة؛ تقوم على أساس المدركات الحسية التي تنبع من الذات، ومن التجارب الحياتية والواقعية؛ فالوصف تعبير عن حالة أو حدث في قطعة وصفية في الظاهر؛ لكنها في التعبير توحي بالكثير من المعاني؛ فهي ذات جمال ينتج من تزاوج الألوان والحركة في وحدة واحدة كاشفة موحية. "فالوصف باعتباره انفعالا داخليا: هو الوصف الذي يتيح من خلاله الروائي تدفق انفعالات داخلية، تختلج في نفسية الشخصية، إنه بمعنى آخر رديف سبر الأغوار الداخلية للشخصية وهي تنفعل تحت تأثير حدث ما، حيث يتم التعبير بواسطة المشهد عن الإحساس المرافق لهذا الحدث "٣٥

يتحقق الوصف – الحدث حين يصبح الوصف وحده مكلفا بنقل مشاهد مفعمة بالأحداث من خلال جمل وصفية محددة، فالوصف الممهد للحدث هو الوصف الذي يستند إليه الكاتب للإشارة إلى طبيعة اللحظات الموالية، أو طبيعة الحدث القادم "٣٦

أي الوصف الذي يسمح الكاتب فيه بتدفق الانفعالات الداخلية؛ التي تختلج في صدره تجاه حدث معين، وبمعنى آخر "التعبير بواسطة المشهد عن الإحساس المصاحب لهذا الحدث. فلا يعاب الأدب الذي يصور لنا الإنسان على حقيقته، والعالم من حوله على حقيقته، وما وراء ذلك فهو وراء الواقع في الحس وفي العقول "٣٧

يساعد الوصف في توصيل أفكار الكاتب ورؤاه، بالإضافة إلى نقل الحدث نقلا أمينا دقيقا؛ فالوصف وسيلة للتوضيح وليس غاية في ذاته؛ أي أن الاتجاه إلى دراسة الوصف يعنى الاتجاه إلى روح النص مباشرة؛ من أجل معرفة الحدث، ودرجة الاكتمال الفني عند الكاتب، وإبراز القيم الجمالية في النص الأدبي.

يعتمد الوصف على التجربة فهي الأساس الذي يبنى عليه النص الأدبي بكل جوانبه؛ وقد حفل أدب محمود تيمور بالكثير من الأنماط التي تكشف عوالم التجربة، والحدث، وتعطينا دلالة على ما يدور في خاطره من انفعالات بالمشهد، وهو دليل في ذاته على تمكن الكاتب؛ الذي

يستخدم الوصف بحيث " يسم كل ما هو موجود، فيعطيه تميزه الخاص وتفرده داخل نسق الموجودات المشابهة له أو المختلفة عنه "٣٨

وهنا نقطة تجدر الإشارة إليها؛ قد يؤدي توقف الأحداث من أجل الوصف -في بعض الأحيان- إلى الملل والضجر، وبخاصة إذا لم يكن الكاتب مبدعا؛ يجذب القارئ بروعة وصفه، لذلك يعمد الكاتب إلى طريقة تساعده في التخلص من الرتابة والملل؛ فيجعل الوصف جزءا من الحدث، بل يجعله الحدث نفسه، فهو وصف غير مباشر؛ فنحن لا نرى هذا المكان بعين الكاتب، بل بعين الكاميرا التي تحيط بكل أركان المشهد في أرض الواقع.

ولقد كانت الرحلة في تاريخ الفكر العربي الإسلامي بعيدة المدى في نفوس الكتاب، وعقولهم ولعل أهم معطياتها؛ هي أن المجتمع الشرقي قريب متصل مهما اختلف في بعض الأمور الفرعية؛ فالأمة الشرقية متشابهة بالرغم من الاختلاف في بعض العادات والتقاليد؛ إلا أنه عند الانتقال إلى الغرب يختلف الأمر لاختلاف الحضارة "إن أدبنا يمكنه أن يعود أدبا عالميا يعطي كما يأخذ، بل يعطي أكثر مما يأخذ، عندما يعود أدب حضارة متماسكة، ترتبط فيها الوسائل بالغايات" ٣٩

والكاتب الجيد هو من استطاع أن يأخذ من الرحلة القدر الذي يضيفه إلى أدبه، من غير تعارض مع القيم والثوابت المتعارف عليها في أمته، ويعتمد هذا على رسوخ جذورهذه القيم في نفسه؛ فلا تؤدي به حياته في رحلاته المختلفة إلى إنكار مجتمعه أو احتقاره، أو التقليل من مكانته؛ وإنما يجب أن يفهم الهدف الأساس من الرحلة؛ أن يفيد من الجيد الحسن، ويترك ما لا فائدة منه؛"وهذه سمة الأدب الواقعي الذي لا يجرد البشرية من أحلامها ولا يجرد الدنيا من محاسنها"٤٠

فتوظيف الكاتب للوصف، مرتبط بأجوائه وانفعالاته؛ كما هو مرتبط بالواقع المحسوس بأبعاده؛ "ومن الواقع الإنساني الذي يرسمه العلم، ينطلق الأدب مصورا هذا الواقع تصويرا قويا، ملتمسا ما هو أسلم عاقبة، وأعم خيرا وأصدق تعبيرا عن المشاعر "٤١

وقد صرح تيمور بذلك في "شمس وليل"؛ وكيف تطلعت نفسه للرحلة؛ بوصفها انطلاقة جديدة لعوالم أخرى جاذبة تبعد عن نفسه الملل والضجر؛ كما تشحن النفس بطاقة إيجابية "في ذلك الجو الساجي، حيث الطائرة تحلق في أجواء الفضاء أحس بأني قد تحررت من كل قيد، وأن نفسي تهيم مع الطائرة في مسراها، تنعم بعالم حر طليق"٤٢؛ يهرب إليه الكاتب بجسده، وعقله؛ ثم يشرع في التعبير عما يشاهده، وما يملأ نفسه من انفعالات وأفكار؛ فيحررالوصف الطاقة الكامنة في نفس الكاتب، والتي يحتفظ بها أسيرة لديه.

يكشف الوصف عن جوهر النص الأدبي الحقيقي؛ "ذلك أن الأدب كالحياة لأنه تعبير عنها، فلا يستوعبه مذهب ولا يستغرقه أسلوب"٤٣؛ كما أنه من أصعب مفاتيح النص؛ نظرًا لاختلافه، وخصوصيته عند كل كاتب وآخر؛ فكل كاتب له صوره الوصفية التي يبتكرها، ويتميز بها. ويرتبط أسلوب الكاتب ارتباطا وثيقا بمدى قدرته على الابتكار والتجديد في لغته وصوره

أيضا؛"ومعروف من أن الشيء إذا نيل بعد الطلب، ووصل إليه بعد إعمال الفكر كان وقعه في النفس أحسن، وتأثيره عليها أكبر "٤٤

وليس في الإمكان أن يكون الكاتب قادرا على منح الإنسانية فكرا وعلما وزادا؛ وهو عاكف في صومعته، فلابد من أن يتصل بالحياة في سكونها، وحركتها، واضطرابها؛ " فلا تحقق التجربة نتائج كافية إلا إذا اتسعت فلم تقف عند المجتمع المحلي وحده؛ ولذلك كانت الرحلة بعيدة الأثر في نفسية الكاتب، وفي كتاباته، ولطالما غيرت الرحلة،وعمقت أساليب الكتاب ومضامينهم، وأعطتهم مزيدا من الخبرة والتجربة، وحيث ما يذهب الكاتب نجد مجتمعات وأناسا لهم مفاهيمهم، وقيمهم، وفيها الخير والشر"٤٥ ومن خلال الرحلة يوسع الكاتب دائرة معرفته؛ فيتصل بثقافات أمم مختلفة عن أمته، عادات وتقاليد وبيئات مختلفة عن بيئته .

والوصف وسيلة من وسائل التعبير الفني،يصوغه الكاتب من خلال رحلاته وعلاقته بالعالم الذي يرتحل إليه؛ فيستخدم الكاتب الوصف لنقل الحدث مستعينا بإمكانات اللغة، وتراكيبها في الدلالة؛ لذلك يوجد صلة وثيقة بين الوصف وبناء العبارة؛ ومن ذلك وصف محمود تيمور للحدث الذي لم يخطط له، ولم يكن في مسار رحلته؛ إلا أته ترك بصمة جميلة في نفسه وهو الإقامة ليلة في أغرب فندق لم تقع عين الكاتب على مثله قبل؛"بلغت بنا السيارات غايتها، فوقفت أتبين ما حولي ، فلم أجد نزلا أو مايشبه النزل، إلا أن السائق تقدمنا يحمل المتاع، فتبعناه في دهشة، فسار بنا على نشز من الأرض يشبه الطوار، وانتهى بنا السير إلى درج هبطناه ومثلت لحظة أتنور على ضوء المصابيح المنتشرة ما سماه السائق نزلا؛ فإذا نحن حيال مبنى عجيب لم تقع على مثله عيني؛ مبنى مخفوض ضيق العرض،يمتد طوله امتدادا ينحسردونه البصر، كأنه قطارات السكة الحديدية قابع في مكانه ينتظر راكبيه، أو كأنه أُفعوان بائن الطول قد تمطى بجوار الطريق ينشد الراحة والاستجمام.وفي آخر الدرج استقبلتنا حديقة رشيقة، ما لبثت أن أسلمتنا إلى الباب فما أسرع أن التقمنا الثعبان ! ودخلنا ردهة أنيقة تنشق منها طرقة حسبت وأنا أسير فيها كأني في نفق محتفر في قاع النهر، وعلى جنبي الطرقة تتراصف حجرات ناصعة البياض، طول كل منها قيد خطوتين، وعرضها كذلك، أسرتها قائمة بعضها فوق بعض، كشأن الأسرة في بعض البواخر، أو مركبات النوم في القطارات، بيد أن الحجرات على صغرها وافية بالحاجة، أنيقة المظهر. وأشهد أننا لقينا في هذا النزل- على غرابة بنائه، وضيق حجراته – كل ما يرجوه النزيل من راحة، وقد أمضينا فيه ليلتنا هانئين وجئ إلينا في الصباح بالفطور، فإذا هو لا يقل – في وفرة طعامه، وجودة إعداده- عن مثيله في الفنادق الفاخرة!"٤٦

يلاحظ انتقال القارئ من أرض الواقع إلى عالم الصورة؛ من خلال الوصف الدقيق للحدث؛ فعندما يسير القارئ مع وصف الكاتب للحدث؛ يشعر كأنه يشاهده رأي العين؛ فيصبح القارئ مشاركاً فعلياً في عملية إبداع النص؛ فالوصف هو المرآة التي تعكس صورة الحدث وملامح تطوره وتحوله،كما يصور التجربة التي يمر بها الكاتب، والظروف، والملابسات التي تحيط به، وكيف كانت رحلته صعودا،وهبوطا من الطائرة، ثم الانتقال للمبيت في نزل أشبه ما يكون بالقطار، بيد أن المكان على صغره يتمتع بكل ما تقدمه الفنادق أنيقة المظهر؛ فيأتي الوصف بطريقة معبرة دقيقة كاشفة لكل جوانب الحدث؛ وهذا نوع من أنواع الخصوصية التي

يتفرد بها محمود تيمور؛ فالوصف هو الذي يحدد مدى قدرة الكاتب على الابتكار،والإبداع، فهوعلامة التميز الفني التي يعتمد عليها داخل النص، كما أنه وسيلة الكاتب وغايته في ذات الوقت؛وسيلة لنقل الحدث كما هو، وغاية فنية تهدف إلى الإمتاع،والمؤانسة بطريقة جديدة تحمل بصمة الكاتب التي تميزه عن غيره في إبداعه الذي سار على نهج الابتكار بعيدا عن الاجترار المتكرر لكلمات السابقين .

فالصورة الوصفية هي نتاج لما قام به الكاتب من رحلات ومشاهدات وقراءات، وتأملات، وأفكار انصهرت جميعا في بوتقة واحدة؛ كانت محصلتها الصورة الوصفية التي تجذب انتباه المتلقي، هي العنصر الصغيرالذي يفسح له الكاتب مجالا كبيرا في إبداعه؛"ألست وأنت على عتبة هذه الحرية المزعومة تمسك بالقلم، أو بالأحرى يمسك بك القلم، آخذا بخناقك، فيريدك على أن تملأ هذه الصحائف التي بين يديك ؟ما أشبه جلستك هذه في جوف الطائرة العابرة تفكر وتسطر، بجلستك المألوفة في ذلك الركن من دارك، تتأمل وتسجل !" ٤٧، فالوصف هو البؤرة التي استطاعت أن تجمع الأحداث حولها؛ فالنص الأدبى يرسم أحداثه الخاصة" بحسب ما يتخذ من الهيئات بين مستعار من الواقع أو صورة عنه أو تشخيص له" ٤٨.

يستمر الكاتب في وصف أحداث رحلته مع النهر؛ وكيف تصبغه أشعة الشمس؛ وتجعله مثل اللؤلؤ، ثم أتبع ذلك بوصف شامل لصورة النهر؛ بأنه محراب الجمال أمام العيون؛ "وأشرفنا في بعض الطريق على منفسح من النهر كأنه في هيجته بحر مُزبد؛ أشعة الشمس تلتمع عليه كأنها سمط اللؤلؤ، والغابات تتعالى على ضفتيه، ملقية بظلالها حنينا إليه، والمروج على حافاته تزينها من الأزاهير ألوان، فسرحت بصري مسحورا بهذا الموقع الذي تغنى به الشعراء والكتاب، وكان لهم مثار وحي وإلهام " ٤٩.

ساعدت الصورة الوصفية في نقل المشهد بكل تفاصيله؛ كماأسهمت أيضا في متابعة الحركة فيه؛ فالنهر يشق الأرض من حوله، تنمو النباتات على ضفافه في لوحة فنية ناطقة بالجمال، غير أن هذا النوع من الوصف الذي ينقل إلينا الشيء متحركا؛ يتمتع بمقدرة كمقدرة اللغة التصويرية التي لا تتفق إلا مع نوع معين من التصوير اللغوي يعطي النص طاقة جمالية موحية. "ما أروعك أيها النهر، وأنت تشق الفجاج المتحدرة على جانبيك، وهي تزهو لك بخضرتها الناضرة، كأنما كساها بساط من خَمل" ٥٠.

هكذا ينتقل الكاتب إلى وصف مجرى النهر؛ معتمداعلى تلك الرؤية التصويرية التي توائم بين ما هو بلاغي قديم تقليدي في تكوين الصورة، وما هو حديث في بلاغة المشهد أو اللقطات بوصفهما مكوناً رئيساً لأدب الرحلة؛ فقد تميل الصورة إلى أن تكون متحركة حية نابضة بالجمال والروعة"تشق الفجاج – تزهو"، مما يجعل المسؤولية التي تفرض علي خيال القارىء لكي يفهمها تقل كثيرا.

هذه اللقطات تبدو، كأنها مفككة، وكل لقطة تزخر بمفردات تنتمي لحقول دلالية متباينة ومتباعدة" بحر مزبد، المروج تزينها الأزاهير، الفجاج المتحدرة "؛ ولكن الكاتب ربط بينهم برباط خفي، اعتمد فيه على التجاور الدلالي لخلق صور ومشاهد متعددة تصور جمال النهر

وروعته. فتبدو الصورة في المقطع السابق مرتكزة على مجموعة الآليات الفنية داخل النص، " فالتواصل في الصورة غير لساني، تمثله الأيقونة والإشارة /الرمز، ويدخلان في نسيج قياس اللوحة، الأيقونة بكونها علامة تدل على شيء يجمعه إلى شيء آخر، علاقة المماثلة والمشابهة، وهي أيضا إشارة متغيرة بتغير موضوع العمل " ٥١ .

تبدأ الصورة من استدعاء مجرى النهر من خلال كاميرا الكاتب-إن صح التعبير- التي يحملها دائما في رحلته. فالوصف لوحة بصرية من دال ومدلول، أو مجموعة من العلامات يمكن دراستها والكشف عن خواصها وملامحها ودلالاتها.

وعلي سبيل المثال ذكر الكاتب؛ (سمط اللؤلؤ- محراب الجمال- ملقية بظلالها حنينا إليه)؛ فما علاقة هذه الأشياء بعضها ببعض؟ عندما ندقق النظر في تلك المفردات ونخرجها من دلالاتها النصية إلى دلالاتها الحياتية، ندرك أن العلاقة الوثيقة بينهم جميعا هي" أشعة الشمس "، وأثر انعكاس الضوء على النهر وعلى المروج الخضراء من حوله، وتظهر دقة وصف الكاتب، واهتمامه بجميع أركان الصورة، من أجل نقل المشهد بكامل أركانه. والشمس محور لكثير من الصور الوصفية في إبداع محمود تيمور بداية من العنوان حتى نهاية العمل الأدبي.

إن مشهد جريان النهر، وازدهار المروج من حوله لوحة فنية جمالية تشعر المتلقي بالبهجة والسعادة والمرح؛ رغم أن أعيننا لم تشاهد الصورة الطبيعية؛ ولكنها تذوقتها من دقة اختيارالكلمات الدالة على المعنى؛ فالوصف يتميز بطاقة جمالية كامنة تخرج مع الكلمات المختارة بدقة الدالة على أركان الصور كما شاهدها وانفعل بها الكاتب في رحلته.

وقد انشغل محمود تيمور باستخدام الوصف للتقريب بين الصور اللغوية والصور المرئية على أرض الواقع؛ فالكاتب لا يرسم صورة نعقلها؛ وإنما يقدم " مماثلا ماديا يمكن لكل من أراد أن يدركه بمجرد أن ينظر إليه، ويلتفت له؛ أما الصورة الخيالية؛ فتظل رغم تحقق المماثل المادى لها محومة على المستوى الخيالى؛ إذ ليس هناك تحقق واقعى لما هو خيالى، وإنما تموضع له "٥٢ لذلك يعتمد أدب الرحلة في الأساس على خوض التجربة؛ فلا تكفي القراءة وحدها لتكوينه وإنتاجه؛ فالقراءة في مجموعها تمثل الجانب النظري القائم على متابعة الأفكار، والآراء المختلفة؛ فلا سبيل لكاتب الرحلة إلا أن يخوض التجربة بنفسه، ويقدم إضافات جديدة تضاف للسابقين في هذا المجال.

كما يساعد الوصف في فهم الأجواء النفسية التي تسيطر على الكاتب؛ فالكاتب يتوسل بالصورة الوصفية ليعبر عن مواقف، وأحداث لا يمكن له أن ينقلها بدون الوصف؛ الذي يحول الساكن إلى حركة، ولون، وظلال، ولا يختلف الوصف-في وقتنا الحاضر- عن الماضي، بقدر ما اختلف في طريقة تناول التفاصيل الجزئية التي تظهر"عند تناول تفصيلات الواقع الجزئية الصغيرة، فلا يوجد كاتب حقيقى لا يعنى بتكثيف هذه الجزئيات واستخدامها فى رسم لوحته " ٥٣.

ومن الملاحظ أن محمود تيمور قدانفتح خطابه الأدبي على فضاءات اللغة، وكانت الصورة الوصفية هي المحور الأساس الذي اعتمد عليه الكاتب في أدبه؛ فهي" الأداة التى تحمل

الأفكار وتنقل المفاهيم؛ فتقيم بذلك روابط الاتصال بين أبناء الأمة الواحدة، وبها يتم التقارب، والتشابه، والانسجام بينهم "٥٤.

أفاد محمود تيمور من تقنيات فن الرسم في تشكيل صوره الوصفية الحية عن طريق المشاهد، والألوان ؛فأدب الرحلات يعتمد في المقام الأول على الصورة بوصفها حجر الأساس؛ فتصبح الصورة المشهدية هي الإطار الذي يبدع فيه الأديب؛ من خلال التركيز على مشهد محدد، أوصياغة الوصف بصورة تشكل فيها الكلمات دوراً أساسا في توالي المشاهد وتتابعها، ويظهر المشهد الذي يعتمد عليه الكاتب في النص من خلال محاولته في رسم صور جديدة النسج، بديعة التراكيب؛ من ذلك وصف الكاتب للنجوم مصابيح السماء، وأثرها في نفسية الناظر لها ، وكيف تضيء السماء في مشهد يدعو إلى التفكر "في أكناف السماء نجوم من فوقك تبصّ، ومن الطائرات نفسها نجوم حولك تختلج، وعلى جوانب الأرض نجوم كهربية منتثرة تلتمع إنها مصابيح الطبيعة ومصابيح الإنسان، تتزاحم وتتداخل، حتى لا تميز بين بعضها وبعض، وفيم التمييز وقد نصبت كلها في السماء والأرض لخدمة البشرية "٥٥

تصبح الرؤية مكتملة من خلال تضافرأركان الصورة، واتحادها بعضها ببعض لتخرج لنا مشهداً مكتمل الأركان؛ فقد ربط محمود تيمور بين السماء والأرض من خلال هذا الوصف الذي جمع فيه بين مصابيح السماء والأرض التي تحيط بالإنسان من كل الجهات " نجوم من فوقك تبص – نجوم حولك تختلج – نجوم كهربية منتثرة تلتمع "؛ فوظيفة الكاتب، أو المصور هي تكوين المنظر، وعليه أن يرتب العناصر المختلفة المراد وصفها في شكل من النظام؛ فالوصف ميدان خصب قادر على البوح إذا تعرض للدراسة النقدية؛ بحيث نعيد قراءة النص قراءة جديدة تلقي الضوء على الكثير من الجوانب المعتمة فيه؛ فهو يحمل دلالات خارجية؛ كما يحمل أيضا إشارات ورموزا داخلية ؛ فيمثل "الأديب في نفوذ بصيرته،ورقة مشاعره، ورهافة إحساسه بمواطن الحق والخير والجمال يقظة الوجدان، وصفاء الروح، فهو بخصائصه إنساني النزعة، جماعي الاتجاه ٥٦"

وقد تجلت الصورة المرئية عند محمود تيمور في وصفه لميناء الخشب؛ وكيف يتحول هذا النهر الجميل لمطية يحمل عليها الخشب "بصرت من النافذة بكتل الخشب تغطي صفحة النهر ،فإن العمل فيه يكاد يكون مقصورا على نقل تلك الكتل، وكأنما هو لها مطية ذلول لا تكل ولا تسأم، على أنه ساحر المنظر، لم يشوه جماله ما يحمل ،وما له لا يصبر على أحماله وهي نتاجه من الغابة العظيمة حوله، فليفسح لها حضنه كما يفسح الأب صدره لبنيه ، ولينقلها إلى حيث تؤدي مهمة في الحياة ، كما هو شأن كل ما في الحياة من حيوان ونبات وجماد!ما أروعك أيها النهر" ٥٧

فالوصف موقف؛ وهذا الموقف، يؤثر علينا نحن القراء دون أن نشعر. فالكاتب حين يمسك بالقلم، ويحركه يمنة ويسرة، يجعلنا نحب هذا المكان أو نكرهه، نعجب به أو ننفر منه؛ فصورة النهر وهو يحتوي ما عليه من أخشاب، وكيف يفسح لها كما يفسح الأب صدره لبنيه؛ تشعرك بروعة وجمال الربط بين الإنسان وحبه الفطري لأبنائه، وجريان النهر محملا بالأخشاب؛ فقد كان سببا في نتاجها من الغابة حوله؛ وكأن جريان النهر بهذه الطريقة المعبرة، ودوره في نقل الأخشاب انسجام وتوافق بين أركان الطبيعة الخلابة.

وبقراءة الوصف السابق نجد بصمة مميزة لمحمود تيمور؛ في الربط بين أجزاء الصورة، ومحاولة نقلها إلى ذهن المتلقي من خلال التشبيه والتمثيل الذي يساعد في فهم الصورة الوصفية فهما دقيقا؛ فالتعبير عن الواقع لا يتم بشكل مستقيم عن شخصية المؤلف، ومعرفته بالحياة؛ وإنما يحدث نتيجة تفاعل هذا كله. فالذات التي تكون بمعزل عن الموضوع ذات فقيرة "لا تمتلك من أسباب البقاء، ووسائل الحوار المنطقي شيئا، وهي تجهل سبل الوصول إلى المعرفة"٥٨

يعد وصف الحدث في إبداع محمود تيمور؛ بصمة تميز أدبه عن غيره من كتاب الرحلة، كما أنها طريقة يستخدمها الكاتب من أجل تقريب المعنى إلى ذهن المتلقي. فوصف الحدث هو أول ما يلفت عين القارئ، بخاصة حين يكون مبتكرا جديدا؛ يتجاوز المألوف التقليدي.

"الوصف" بالمقارنة:

يستخدم بعض كتاب الرحلة تقنية المقارنة بين مشهدين مختلفين أو متفقين؛ وتسمى هذه التقنية الوصف بالمقارنة حيث تندرج دراسة أدب الرحلات -تحت هذا الوصف- بفاعلية النقد، وبالتعرّف على ثنائية "الاختلاف والاتفاق".

هناك نوعان من المقارنة في الوصف؛ مقارنة إيجابية؛ ويقصد بها التشابه بين الصورتين في الجمال أو القبح، ومقارنة سلبية؛ يقصد بها التضاد، والتناقض بين الصورتين.

ومن المقارنة الإيجابية؛ وصف محمود تيمورالنقوش التي تزين حوائط المنازل في السويد، وتشابها مع ما صنع المصري القديم من تسجيل للتاريخ الفرعوني على جدران المعابد والمقابر؛ يقول:"وثمة الحوائط، عليها نقوش زاهية الألوان منها ما يمثل أساطير مأثورة، وقصصا دينية، وأحداثا تاريخية، وقد نقلت وركبت كما كانت في عصورها الغابرة تزين حوائط المنازل، فهي تمثيل صادق للتصوير الريفي في السويد القديمة، وهي تمثيل صادق كذلك للحياة في تلك الأيام، وما أشبهها بما صنع المصري القديم " ٥٩

ومنه أيضا التشابه بين ميناء البصل في مصر وميناء الخشب في السويد "تركنا ميناء الخشب، إن صح أن نطلق عليه هذا الاسم، أسوة بالاسم المصري المعروف ميناء البصل "٦٠

وكذلك التشابه بين مصر والسويد في الانتقال من الزراعة إلى الصناعة؛ فقد كان اقتصاد مصر يعتمد في المقام الأول على الزراعة بوصفها حرفة رئيسة؛ ثم تغيرت الأوضاع والظروف السياسية والاقتصادية؛ فتغير الأمر وأصبحت الصناعة مقدمة على الزراعة؛ وكذلك حدث في السويد "وكانت السويد إلى عهد قريب بلدا زراعيا لا يعرف غير الزراعة موردا للثروة، على قلة المزارع، فتغلغل الفقر، وتخلفت الأمة، حتى بدا فيها عهد التصنيع وسمت إلى استغلال ما في المناجم والغابات من كنوز؛ فالسويد في قصير من الزمن ذات مصانع ومعامل تملأ الأكناف،وإذا الأمة صناعية تتقلب في أعطاف الرفاهية والنعيم .ما أشبه الأمة المصرية في هذه الناحية بأمة السويد. شكونا من مثل ما شكوا، ونعالج أمرنا اليوم على نحو ما عالجوا، ولقد بدأت مصر وثبتَها في هذا المدى في طماح وجد ودأب، وما أيسر الغايات على دائب طموح"٦١

أما المقارنة السلبية؛ فمنها المقارنة بين الحرية الزائدة في التعامل مع المرأة؛ وما عليه الشرق من تحفظ، ومراعاة لحدود الدين، والتقاليد والعادات الشرقية في المحافظة عليها؛ فهي الأم،والزوجة، والأخت، والبنت "تلك معاناتهم ومداعباتهم.وفرق بين هذا وبين ما نحن عليه في شرقنا الدَّين المتحفظ ، الحريص على العادات المتمسك بالتقاليد!فاهنأ إيها الشرق إنك حقا مهد الفضائل ومهبط الديانات، وفيك قداسة وطهارة، وأرضك بلا ريب أرض المعاد !"٦٢.

هكذايحرص الكاتب على أن يمد قراءه بما يزيدهم قوة واعتزازا بدينهم وأخلاقهم؛ ويرجع ذلك إلى صمود تعاليم الدين والقيم، والعادات والتقاليد الشرقية في نفسه، وتمكنها من أعماقه "فلا تنزع به حياته في المجتمعات المختلفة إلى إنكار مجتمعه أو احتقاره، أو الغض من قدره"٦٣ وإنما يجب أن يكون مفهوما دوما أن كاتب الرحلة يقدم كل ما يفيد، مع الاعتزازبدينه وعروبته. للمجتمع الشرقي عاداته، وتقاليده التي من حقه أن يفتخر بها، ويرفع رأسه عاليا أمام الانيهار الأخلاقي في المجتمع الغربي "وأن خير ما تقتبسه الأمم هو أدوات الحضارة مع احتفاظها بقيمها البناءة حتى لا تنماع في الأمم وتفقد شخصيتها "٦٤ فنأخذ من الغرب ما يتناسب مع مجتمعنا الإسلامي الشرقي المحافظ. ونترك ما دون ذلك.

ثم تأتي المقارنة بين ليل الشرق الحالم الدافئ العتيد، وليل الغرب البارد الهزيل " إيه ياليل!
أين أنت هنا من ليل الشرق العتيد؟
إيه يا ليل!
أين بريق نجومك الألاقة، وبهجتها الفتانة؟ إنها لتبدو هنا شاحبة مستخذية في ذلك الليل الهزيل!
إيه يا ليل!
أنت هنا شبح هارب، وخيال ناصل. حياتك لحظات خواطف، أما أنت هنالك في سماءالشرق، فإن حياتك تطول تمتد " ٦٥

أول ما نلاحظه عند المقارنة بين الصورتين في المشهد السابق أن الوصف في حالة ليل الغرب مباشر؛ حيث يتجمد الحدث، وتتوقف الحركة، حتى يتم الكاتب وصفه، ثم تستمروويبدأ في وصف ليل الشرق الحالم "أما أنت هنالك في سماءالشرق، فإن حياتك تطول تمتد"؛ حيث يطلق العنان للخيال في رسم صورة ذهنية لهذا الليل الطويل الحالم.

ثم يتبع ذلك بوصف الحب الشرقي العارم الشديد الذي يعصف بصاحبه بخلاف الحب الغربي الذي يتناسب مع ليله البارد، فهو أمر طبيعي ينمو في الضوء علانية دون خجل أو قلق "الحب هنا شأن طبيعي، ينمو ويترعرع في الضوء الوضاح وإنه لحب هادئ لطيف يشف ويرق، كأنه نسمات الأصيل، تبعث في النفس طمأنينة وتهدي إلى القلب راحة!

فأين هو من الحب الشرقي العارم؛ ذلك الذي يعنف بصاحبه حتى يذيبه؛ كأنه لفحات الهجير المتضرم، تذرف له الأعين ساكب الدمع، ويتفطر فيه القلب من حرقة والتياع " ٦٦

إن علاقة الضوء بالحب هنا ليست في محلها؛ فالحب في الضوء أمر جيد بتناسب مع الفطرة الطاهرة النقية، وربما المقصود أن حب المشارقة يصيبهم بالأرق والسهر- دون الغربيين-

مما يدل على شدة الحب بخلاف حب الغرب البارد الذي لا يوجد فيه لوعة واشتياق- للممارسات الأخلاقية الخاطئة- وبذلك تستقيم الصورة الوصفية.

وهكذا تفهم المقارنة بين الحب الشرقي الذي يحرق قلب صاحبه لوعة واشتياقا؛ والحب الغربي اللطيف الذي يبعث الطمأنينة؛ من أجل إبراز الفكرة؛ فبضدها تتميز الأشياء، كما استطاع أن يُكون بوصفه جسرا بين أدبه والمتلقي؛ فالأدب فن يعرض الخبرات " والتجارب الإنسانية التى يستمدها من الحياة ليفسر بها هذه الحياة " ٦٧

ويظهر تيمور في وصفه هذا صاحب فلسفة متداخلة في نسيج النص الأدبي، مع شيء كثير من العاطفة الحالمة؛ التي لا تبتعد عن صميم الواقع، وهي تحلق في عالم الخيال، متناولا بوصفه أوجه الاختلاف بين الشرق الأصولي المحافظ، والغرب المتحرر "من هذا كله يمكننا أن نصل إلى أن ثمة حضورا لمفهوم الآخر ومصطلحه "٦٨، ساعده على ذلك المقارنة التي تظهر بشكل واضح في أدبه.

يمتلك الكاتب موهبة يدرك بها أوجه التشابه، والاختلاف بين الأشياء، موهبة فردية تعبر عن نفسها من خلال لغة خاصة، ولا يمكن أن يكون الكاتب أصيلا-أي ذاتيا-في تعبيره؛ إذا لم يعرف مداخل هذه اللغة ومخارجها؛" وإن كانت هذه المعرفة لا تكفي ليسمى أصيلا، وإنما يسمى أصيلا حين يضيف إلى الذخيرة التي تلقاها عن سابقيه شيئا من عطره هو، شيئا يختلف عن القديم ويلتئم معه في الوقت نفسه " ٦٩

ومن هنا يتضح الفرق بين إنسان مبدع قادر على صياغة أفكاره؛ وبين مقلد لغيره، متبع لنهج الآخرين أو كما يقول د/ محمد زكى العشماوى " أن يعمل على تحطيم الارتباطات العامة للألفاظ تلك الارتباطات التى يخلقها المجتمع وأن يخرج عن السياق المألوف إلى سياق لغوى ملئ بالإيحاءات الجديدة. وذلك لأنه بدأبتحطيم الشكل المألوف العادى، وبنى على أنقاضه شكلا آخر، شكلا من صنعه هو يعتمدعلى علاقات وتراكيب لغوية جديدة وحية"٧٠

الوصف والعاطفة:

الوصف موقف يؤثر على القارئ بطريقة ما؛ فعندما يصف الكاتب المكان بكلماته؛ ينقل لنا مع هذه الكلمات انطباعا قويا يجعلنا نحب هذا المكان أو نكرهه؛ نعجب به أو ننفر منه. وهذا ليس حكرا على وصف المكان؛ بل الوصف بصفة عامة.

فالوصف إبداع عماده الكلمات المعبرة عن العاطفة؛ عملية معرفية تقوم بدور الوسيط بين الكاتب والمتلقي، إحساس بالجمال لا يقتصر على حاسة واحدة؛ فثمة حواس مختلفة يمكن من خلالها الإحساس بجمال الوصف. لذلك تستحق هذه النصوص المتعددة في الوصف الخارجي، والداخلي والأحداث، والمشاهد الطبيعية، والعلاقات الإنسانية؛ أن تدرس باهتمام كبير.

إن تعاطفنا مع الشخصية يزيد أو ينقص، بتفاعلنا مع الأحداث ومعرفتنا بالواقع، وسمات الشعوب؛ حيث يمثل الانطباع الأول، الذي يرسمه الكاتب من خلال المظهر الخارجي، أهمية بالغة، إذ أنه المفتاح الأول للشخصية " والتمييز الصحيح بين الجوانب المادية، والجوانب الروحية من الحضارة لا ينفي أنهما يتكاملان تكامل الوسائل والغايات. والتمييز الصحيح بين

العقل والقلب لا ينفي أن كليهما يتدخل في عمل الآخر. والصدق يتطلب من الفنان أن يحقق بعمله نوعا من التوازن في الحياة النفسية، في حياته هو أولا، ثم في حياة قرائه ثانيا "٧١،وإذا كانت النظم والأفكار والثقافات المختلفة تشتمل على خير وعلى شر، وعلى نافع وعلى ضار؛" فإن الاتصال الوثيق الطويل الأجل ليس من شأنه أن يكفل الخير الخالص والنفع المحض، وإنما ينقل من هذا ومن ذاك " ٧٢.

يظهر في إبداع محمود تيمور شيء ليس جديدا؛ ولكنه يتكرر بشكل واضح وهو مزج الوصف الخارجي بالوصف الداخلي؛ فقد كشف الكاتب بعض السمات الشخصية للشعب السويدي من خلال مشاهداته وتحليله، كما يتضمن الوصف العاطفة التي يريد الكاتب أن ينقلها إلى القارئ سواء أكانت عاطفة حب أم كره، إعجاب أم نفور؛ فليس الوصف من أجل الوصف؛ ولكن يصف الكاتب من شخصياته بمقدار ما يكفي لفهم الحدث، دون زيادة أو نقصان. ولنأخذ مثالا على ذلك وصف محمود تيمور للشخصية السويدية التي تبدو للوهلة الأولى متكبرة مغرورة؛ يساعد طول القامة ومهابة الطلعة على تأكيد هذا الانطباع؛ يقول"فالتجانس والاندماج جعل الأمة السويدية طابعا واحدا في المزاج والعقلية والهدف، وطول القامة كان له أبلغ الأثر في واعية السويدي الباطنة؛ إذبعثت فيه نزعة الإباء والشمم، وجنحت به إلى ما يشبه الاستحاش، حتى لتحسبه باديء بدء أخا عنجهية وكبرياء؛ وماهوبذلك، فإنك ما تخالطه، حتى يلين لك جانبه، وتتجلى دماثته..."٧٣

يلاحظ أن محمود تيمور يصف سمات الشخصية السويدية بصفة عامة ووصف الشخصية بهذه الطريقة، يكسوها جاذبية خاصة، ويبعدها عن التقريرية والمباشرة، فيأتي الوصف طبيعيا، تلقائيا؛ بحيث ينتقل إلى القارئ أثناء القراءة بطريقة واضحة مباشرة غير متكلفة. ومن ثم يتعاطف مع هذه الشخصية التي تجمع بين الجمال الجسدي، وقوة الشخصية؛ كما استطاع أن يلقي الضوء على بعض الصفات النفسية من خلال الوصف الخارجي. وبذلك يكون قد جمع في الوصف بين المظهرين الخارجي والداخلي للشخصية.

يعد وصف الشخصية أثناء ممارسة عمل أو هواية أو القيام بنشاط ما؛أفضل الطرق لوصف الشخصية، وهذا ما فعله تيمور في وصفه للشخصية السويدية التي تحب العمل، وتخلص فيه ، كما يغلب على هذه الشخصية المتفانية في عملها رغبة شديدة في التحرر من القيود ولا سيما قيد الزواج "ولعل شيوع الطلاق في الأسرة السويدية مردة إلى ذلك النزاع النفسي بين التحفظ والانطلاق، فالخلة الأولى تستأنى بالسويدي في عمله، لا يتهور ولا يطيش،والخلة الأخرى تهفو به إلى التحرر من قيود الزواج ،ولا بقاء لهذه الفوضى التي تهز كيان الأسرة هنالك ، فلابد من استقرار ينتظم العلاقة الزوجية، وفق تطور المدينة الحديثة ،على نحو يلائم نفسية الشعب " ٧٤

ورغم بعض العيوب التي أوردها الكاتب في وصف الشخصية السويدية إلا أن طول قامته، ومهابة طلعته، وعينيه الضاحكتين، تشي كلها بإعجابه به. فمن يقرأ هذا الوصف المكتوب بدقة يدرك مدى تفهمه لسمات هذه الشخصية، وإعجابه بالشعب السويدي وحكومته بصفة عامة؛"ولقد كان من أثر اصطناع الاشتراكية في نظام الحكم السويدي، في وقت مبكر، أن استتبت روح الألفة بين طبقات الشعب، وشاعت العدالة الاجتماعية والاقتصادية في شتى جوانبه،

واطمأنت الحكومة إلى العمل في حكمة واتزان؛ فلا تفريط ثم ولا إفراط، يرتفع البناء على الصالح من أسس الماضي، مستوفيا مقتضيات التطور والتجديد "٧٥

إنّ الذي تعتمد عليه هذه الدراسة في معالجة الوصف هو ما كان أساسه الخيال الأدبي، أوالرسم بالكلمات، الخيال الخلّاق؛ فنوعية الخيال وإمكاناته وفاعليته " هى ما تميز الفنان المبدع عن غيره ولا تنفصل قيمته الخاصة فى مثل هذا التصور - عن قدرته الخيالية التى تمكنه من التوفيق " ٧٦

فالخيال وظيفته الأساس صياغة الصورالوصفية؛ ومن ثم يتفاضل به الكتاب في مجال الإبداع، فهو جوهر الأدب؛ فمن فقد ملكة الخيال لا يستطيع أن يتخطى الرؤية البصرية المباشرة إلى الرؤية الذهنية؛ حيث" يقرر شكل المشبه في الذهن، ويعمق معناه، ويلح عليه بالتثبيت ويرسم له في لوح الخاطر صورة بارزة المعالم " ٧٧.

ومن هنا تنشأ فكرة الصدق الفني فتكون العاطفة عنصراً أساساً في الوصف؛ الذي يمثل طاقة جمالية كونت الحاضنة الفنية للوجدان والعاطفة، ثم سرعان ما تتبلور وتصبح فعلا تستجيب له هذه الطاقة في شكل رد فعل؛ يحدد طبيعة السياقات المضمرة الذاتية والنفسية والعاطفية؛ التي جعلت أدب الرحلة يسلك منهجا خاصا له قوة موحية؛ من خلال استخدام الصورة الوصفية المبتكرة؛ " فالنفس الإنسانية مولعة بكل ما هو جميل؛ لذلك تضيق بالصور التقريرية الفجة الساذجة "٧٨.

كما توسع الصورة الوصفية اللغة وتثريها؛ فهي نوع من التفنن في التعبير، إلى جانب ما تضيفه للمعنى من مبالغة، وما تثيره في نفس المتلقي من انفعالات شديدة؛ حتى أنها " ليسمح بها البخيل، ويشجع بها الجبان، ويحكم بها الطائش المتسرع "٧٩، ويتحقق ذلك من خلال اللغة التى تتميز بها المجتمعات بل إن اللغة "من العوامل التى تهب كل مجتمع خصائصه المميزة"٨٠

كانت هذه بعض الإشارات في إبداع محمود تيمور"شمس وليل " بسبيل إعطاء صورة عن جماليات الوصف فيه؛ ورصد أهم الصور التي صاغها بكلماته؛ فمحمود تيمور يمتلك قاموسا خاصا به؛ يوظف من خلاله كلماته كما يشاء في لوحة فنية فائقة.

الخاتمة:

١- حرص محمود تيمورعلى تسجيل رحلاته ومشاهداته في إبداع مستقل له طابع خاص؛ فقد زخرت" شمس وليل" بالعديد من المفارقات التي تتداخل فيما بينها؛ كإشكاليات تصورالبعد الثقافي والمعرفي للأماكن التي يصفها بأسلوبه.

٢- تجاوزت رحلة محمود تيمور " شمس وليل " حدود أفق الشرق العربي إلى حدود الغرب ثقافة وحضارة؛ فهي نموذج تتزاوج بين كلماته الأبعاد الثقافية والحضارية لمجتمع الغرب؛ وقد كان الوصف هو الوسيط الأول لنقل الثقافة من شعب إلى شعب.

٣- يتجلى الطرح التحليلي في" شمس وليل " في ثنايا وصف الكاتب؛ الذي يظهر الفروق، ويحدد الخصائص وسمات المجتمعات الغربية

٤- تظهر الصورة الوصفية في " شمس وليل " -من البداية حتى النهاية- مرافقة للسرد، ومندمجة معه؛ فهي ليست مقصورة على أماكن الحركة (المطار– المدينة – الشارع) أو المظاهر الجسدية للشخصيات، أي أنها ليست مقصورةعلى الحالات التي يأخذ فيها السرد والحوار المكانة الأولى، ويظل فيها الوصف مجرد علامات تعمل في خدمة السرد.

٥- رسم محمود تيمور بوصفه نهجا متميزا في أدب الرحلات؛ حيث أضاف إلى الأبعاد التاريخية، والجغرافية للمكان دراسة المنحى الثقافي للمجتمعات، وعاداتها؛ الأمر الذي مكنه من تحقيق الكثير من أهداف رحلته؛ وأفضل الكتاب من استطاعت الرحلة أن تمنحه القدرة على كسب الكثير لأدبه وأمته، فالشعوب كانت ومازالت تتبادل المعارف والثقافات كما تتبادل السلع والخبرات

٦- اعتمد محمود تيمور على الوصف في نقل المشاهد الحية؛ وقد كانت الصورة الوصفية مباشرة وقريبة من الأذهان؛ ذلك لأنه يرسمها من مصادرها المادية المدركة بالحواس، سواء أكانت مرئية أم مسموعة.

٧-يؤثر محمود تيمور الصور الوصفية القريبة؛ التي يكون وجه الشبه فيها واضحا؛ فلا يميل إلى الوصف المعقد الذي يرهق ذهن المتلقي، ويصرفه عن الفكرة.

٨- تناول الوصف في إبداع تيمورعناصر متعددة؛ منها ما هو إنساني محض، ومنها ما هو من طبيعة الجماد؛ كالأشياء والأماكن، وهو في هذا وذاك يهتم بما يمكن وصفه؛ فيصف بمقدار ما يكفي لفهم الحدث. فيصبح الوصف كيانا فنيا له أهميته في احتواء الأفكار.

٩- يلاحظ في إبداع محمود تيمور " شمس وليل " التركيز في الوصف على ما يميز المكان أو الشخصية؛ سواء أكان ما يلفت النظر عيبا أم مزية. فلا يضخم الكاتب الصورة الوصفية كرسام الكاريكاتير؛ بل يبرزها ليجعلها نقطة ارتكاز ينطلق منها في أدبه.

١٠-كثير من الصور الوصفية عند محمود تيمور مستمدة من الطبيعة. فضلا عن أنه استمد من التراث العربي لغته الوصفية؛ فاتخذ من الشمس منطلقا متماسكا في نصه- بدأ من العنوان واستمر حتى نهاية عمله- لغويا وكونيا لجملة من التجارب الشخصية.

١١- تميزت الصورة الوصفية عند محمود تيمور بالبكارة في الصياغة الفنية، وقد غلب على نصوصه تقريب الصورة اللغوية من الصور المرئية؛ كما استطاع أن يجمع أساليب متعددة في وصف واحد؛ فالأساس المادي للوصف لا يعني بالضرورة أن يكون الوصف مجرد نقل قائم على وصف الأبعاد المادية للواقع، وإنما أن يستخدم الكاتب خياله لإعادة تشكيل الصورة الحقيقية؛ عن طريق إيجاد العلاقات بين أطرافها.

١٢-إن أهم ما يميز أدب الرحلة عند محمود تيمور انشغاله بعنصر الوصف، وقد جعله هذا الاحتفال يتعمق في أبعاده؛ لمنح كلماته حركة تصويرية. حيث يكشف الوصف في "شمس وليل "موهبة الكاتب وإبداعه في نسج خيوطه، في أدب الرحلة.

وما سبق ذكره يكشف أهمية أدب الرحلات الذي كان ولا يزال حاضرا وممتدا حتى اليوم مع اختلافه في الشكل والهدف والطريقة.

الهامش:

١. نظرات في النفس والحياة – عبد الرحمن شكري – جمع ودراسة عبد الفتاح الشطي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٦- ص ٨٥
٢. صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر – أنور الجندي – مكتبة الأنجلو المصرية –الطبعة الأولى ١٩٧٩ – ص ٤٦
٣. صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر – أنور الجندي ٤٦
٤. آفاق من الإبداع والتلقي في الأدب والفن – د. مصطفى الصاوي الجويني – دار المعارف – ١٩٨٣- ص ١٣٥
٥. جدل الرؤى المتغايرة – د. صبري حافظ – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٣ – ص٨٩
٦. *نجد في المجال الأدبي نجد حسين فوزي ومحمد عوض، وطه حسين، وأحمد الصاوي، ومحمود تيمور، وعبد الرحمن صدقي في مراثيه أو جزء من وقفاته أمام آثار إيطاليا. وأنيس منصور، وعبد الفتاح رزق، وخيري شلبي وقبل هذا كله الرحلة الدينية إلى الحجاز لأداء مناسك الحج
٧. راجع آفاق من الإبداع والتلقي في الأدب والفن – د. مصطفى الصاوي الجويني – دار المعارف – ١٩٨٣- ص ١٣٥
٨. أدبيه النص –د. صلاح رزق – دار الثقافة العربية – الطبعة الأولى – ١٩٨٩م – ١٨٣
٩. مشوار كتب الرحلة ص ٩
١٠. *محمود تيمورقصاص وروائي مسرحي ومجتمعي له معجم الحضارة؛ أما أدب الرحلات فله فيه ثلاث كتب:
- أبو الهول يطير: فيه يصف رحلاته لأمريكا وسويسرا وفرنسا
- شمس وليل: وفيها وصف لرحلته إلى السويد
- جزيرة الجيب: وفيها وصف لرحلته إلى إيطاليا "راجع: آفاق من الإبداع والتلقي في الأدب والفن – د. مصطفى الصاوي الجويني – دار المعارف – ١٩٨٣- ص ١٣٦ "
- شمس وليل – محمود تيمور – المطبعة النموذجية ص ٢٦
- شمس وليل – محمود تيمور -ص ١
- نظرية الأدب دراسة فى المدارس النقدية الحديثة - د. شفيع السيد- مطبعة العمرانية للأوفست ٢٠٠٣ ص ٢٠٥
١١. شمس وليل – محمود تيمور ص ٤٠
١٢. نظرية الأدب دراسة فى المدارس النقدية الحديثة - د. شفيع السيد- ص ٢٠٦
١٣. اللغة والثقافة (دراسة أنثرولغوية لألفاظ وعلاقات القرابة فى الثقافة العربية - د. كريم زكى حسام الدين - دار غريب ط٢ ٢٠٠١ –ص١١
١٤. جدل الرؤى المتغايرة – د. صبري حافظ – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٣ – ص٩٠
١٥. الاتجاه الأسلوبى فى النقد الأدبي - د. شفيع السيد -مكتبة الآداب - الطبعة الثانية ٢٠٠٩ ص١٧٦
١٦. أعلام الأدب العربي الحديث واتجاهاتهم الفنية – (الشعر – المسرح- القصة – النقد الأدبي) - د. محمد زكي العشماوي – دار المعرفة الجامعية – ١٩٩٦- ص٤٢٦
١٧. نظرية الأدب واللغة عند سلامة موسى – د. بارك جاي وون صالح – تقديم د. عبد المنعم تليمة – مكتبة الأداب – الطبعة الأولى ١٤٢٨ه-٢٠٠٧م ص ٤٤
١٨. النقد والنقاد المعاصرون – د. محمد مندور- دار نهضة مصر – ١٩٩٧ص ١٨٣
١٩. المجتمع وقضايا اللغة - د. محمد السيد علوان -دار المعرفة الجامعية ١٩٩٥ ص١١
٢٠. التراث العربي الإسلامي "دراسة تاريخية ومقارنة"- د. حسين محمد سليمان – دار الشعب – ١٤٠٧ه- ١٩٨٧م ص٦٣
٢١. حول الأدب العربي – د. كمال اليازجي – دار الجيل – الطبعة الأولى ١٤١٦ه– ١٩٩٥م –ص٩
٢٢. كتابة الصورة – محمد مختار الجنوبي – المجلس الأعلى للثقافة – ٢٠٠٠- ص٢٣

٢٣.شمس وليل – محمود تيمور ص٢٩
٢٤.الأدب وقيم الحياة المعاصرة – د. محمد زكي العشماوي – دار النهضة العربية – ١٩٨٠-ص ٤٥- بتصرف
٢٥.حول الأدب العربي – د. كمال اليازجي – دار الجيل – الطبعة الأولى ١٤١٦ه– ١٩٩٥م –ص٨
٢٦.شعرية التأليف بنية النص الفني وأنماط الشكل التأليفي – بوريس أوسبنسكي – ترجمة سعيد الغانمي وناصر حلاوي – المجلس الأعلى للثقافة – ١٩٩٩- ص١١
٢٧.مقدمة في نظرية الأدب –د. عبد المنعم تليمة –دار الثقافة – ١٩٧٦ – ص٩
٢٨.أعلام الأدب العربي الحديث واتجاهاتهم الفنية – (الشعر – المسرح- القصة – النقد الأدبي) - د. محمد زكي العشماوي – دار المعرفة الجامعية – ١٩٩٦- ص٤٢٧
٢٩.في علم الاجتماع الأدبي بين النقد الأدبي وعلم الاجتماع – د. السعيد الورقي – د. محمود كسبر – دار المعرفة الجامعية – ص٨٣
٣٠.وظيفة الوصف في الرواية- عبد اللطيف محمود- الدار العربية للعلوم – الطبعة الأولى -٢٠٠٩ – ص ٤٣-٤٤
٣١.شمس وليل – محمود تيمور ص ١٥
٣٢.الطرازالمتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز – يحيي بن حمزة العلوي –مطبعة المقتطف ١٣٣٢ه-١٩١٤م - ج١- ص٨٢
٣٣.شمس وليل- محمود تيمور -ص٤٦
٣٤.دراسات في التفسير الحضاري للأدب "-د. شكري عياد-الهيئة المصرية العامة للكتاب-ص١٠٧
٣٥.وظيفة الوصف في الرواية – عبد اللطيف محمود- الدار العربية للعلوم – الطبعة الأولى -٢٠٠٩ –ص٥
٣٦.وظيفة الوصف في الرواية – عبد اللطيف محمود–ص٥
٣٧.دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية – عباس محمود العقاد- مكتبة غريب- ص٣١
٣٨.وظيفة الوصف في الرواية – عبد اللطيف محمود –ص ١٣
٣٩.دراسات في التفسير الحضاري للأدب -د. شكري عياد-الهيئة المصرية العامة للكتاب- ص١٩
٤٠.صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر – أنور الجندي – ص٤٥
٤١.حول الأدب العربي – د. كمال اليازجي – دار الجيل – الطبعة الأولى ١٤١٦ه– ١٩٩٥م –ص٨
٤٢.شمس وليل – محمود تيمور ص ١٥
٤٣.دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية – عباس محمود العقاد- مكتبة غريب- ص٢٣
٤٤.فنون التصوير البياني في البلاغة العربية –أ. د توفيق الفيل – مكتبة الآداب القاهرة – الطبعة الثانية ١٩٩١ه- ص ١٢٩
٤٥.صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر – أنور الجندي – ص٤٤
٤٦.شمس وليل – محمود تيمور ص ٣٣
٤٧.شمس وليل – محمود تيمور ص١٦
٤٨.الفضاء الروائى-- جنيت - كولد نستين - رايمون - كريفل - بورنوف / أويلى - آ يزنزفايك - ميتران - ترجمة - عبد الرحيم حزل - أفريقيا الشرق ٢٠٠٢- المغرب ص ٧٨
٤٩.شمس وليل – محمود تيمور ص٢٠٦
٥٠.شمس وليل- محمود تيمور ص ٢٠٤
٥١.كتابة الصورة – محمد مختار الجنوبي – المجلس الأعلى للثقافة – ٢٠٠٠- ص٧
٥٢.النظريات الأدبية - دراسة فى الأدب المصرى المعاصر- د. محمد شبل الكومى - تقديم د. محمد عنانى - الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٣- ص ٥٤
٥٣.منهج الواقعية فى الإبداع الأدبى - د. صلاح فضل - مؤسسة المختار - الطبعة الثانية ١٩٩٨ ص ٢٠٩
٥٤.خصائص العربية ومنهجها الأصيل فى التجديد والتوليد- أ. محمد المبارك - مطبعة نهضة مصر- ١٩٦٠- ص٤
٥٥.شمس وليل – محمود تيمور –المطبعة النموذجية – ص١٠

٥٦.اتجاهات الأدب العربي في السنين المائة الأخيرة - محمود تيمور – المطبعة النموذجية – ١٩٧٠- ص١٨٨- ص١٨٩
٥٧.شمس وليل- محمود تيمور - ص ٢٠٤
٥٨.نظرية التلقي أصول ... وتطبيقات - د. بشرى موسى صالح – المركز الثقافي العربي – الطبعة الأولى- ٢٠٠١- ص ١٦
٥٩.شمس وليل- محمود تيمور ص٧٨
٦٠.شمس وليل – محمود تيمور ص ٢١٠
٦١. شمس وليل – محمود تيمور-ص ٤٤-٤٥
٦٢.شمس وليل – محمود تيمور ص ٢١٤
٦٣.صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر – أنور الجندي – ص ٤٦م
٦٤.صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر – أنور الجندي – ص٤٥
٦٥.شمس ليل –محمود تيمور ص٤٧
٦٦.شمس وليل – محمود تيمور - ص٤٩
٦٧.النقد الأدبى الحديث أصوله واتجاهاته - د. أحمد كمال زكى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٢ص ١٧
٦٨.الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف – سعد البازعي – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – المغرب – الطبعة الأولى ٢٠٠٨- ص٣٧
٦٩.دراسات في التفسير الحضاري للأدب "-د. شكري عياد-الهيئة المصرية العامة للكتاب-ص٢٥
٧٠.قضايا النقد الأدبى بين القديم والحديث - د. محمد زكى العشماوى - دار المعرفة الجامعية ١٩٩٨م ص١٦
٧١.الرؤيا المقيدة "دراسات في التفسير الحضاري للأدب "-د. شكري عياد-الهيئة المصرية العامة للكتاب – ص١٧
٧٢.تيارات ثقافية بين العرب والفرس – د. أحمد الحوفي – دار نهضة مصر- الطبعة الثالثة – ص ٣٠٣
٧٣.شمس وليل -محمود تيمور-ص٤١
٧٤.شمس وليل - محمود تيمور -ص٤١
٧٥.شمس وليل – محمود تيمور ص ٤٢
٧٦.الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغى عند العرب د. جابر عصفور - المركز الثقافى العربى ط ١ ١٩٩٢ ص١٣
٧٧.فن التشبيه – على الجندي – مكتبة الأنجلو المصرية – الطبعة الثانية ١٩٦٦- ص٢٨٢
٧٨.الصور البيانية بين النظرية والتطبيق-د. حفني محمد شرف –دار نهضة مصر- الطبعة الأولى ١٣٨٥ه-١٩٦٥م- ص١٣٢
٧٩.المثل السائر – ضياء الدين بن الأثير- تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة –دار نهضة مصر – القاهرة – الطبعة الثانية -١٣٧٩ه—١٩٥٩م- ج١ – ص ٨٩- ص١٣٣
٨٠.اللغة بين المعيارية والوصفية - د. تمام حسان - طبعة القاهرة - ١٩٥٨ ص٧

قائمة المصادر والمراجع:

١. آفاق من الإبداع والتلقي في الأدب والفن – د. مصطفى الصاوي الجويني – دار المعارف – ١٩٨٣
٢. اتجاهات الأدب العربي في السنين المائة الأخيرة - محمود تيمور – المطبعة النموذجية – ١٩٧٠
٣. الاتجاه الأسلوبى فى النقد الأدبي - د. شفيع السيد -مكتبة الآداب - الطبعة الثانية ٢٠٠٩
٤. الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف – سعد البازعي – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – المغرب – الطبعة الأولى ٢٠٠٨- ص٣٧
٥. الأدب وقيم الحياة المعاصرة – د. محمد زكي العشماوي – دار النهضة العربية – ١٩٨٠
٦. أعلام الأدب العربي الحديث واتجاهاتهم الفنية – (الشعر – المسرح- القصة – النقد الأدبي) - د. محمد زكي العشماوي – دار المعرفة الجامعية – ١٩٩٦

٧. التراث العربي الإسلامي "دراسة تاريخية ومقارنة"- د. حسين محمد سليمان – دار الشعب – ١٤٠٧ه-١٩٨٧م
٨. تيارات ثقافية بين العرب والفرس – د. أحمد الحوفي – دار نهضة مصر- الطبعة الثالثة
٩. جدل الرؤى المتغايرة – د. صبري حافظ – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٣ – ص٨٩
١٠. حول الأدب العربي – د. كمال اليازجي – دار الجيل – الطبعة الأولى ١٤١٦ه– ١٩٩٥م
١١. خصائص العربية ومنهجها الأصيل فى التجديد والتوليد- أ. محمد المبارك - مطبعة نهضة مصر- ١٩٦٠
١٢. دراسات في التفسير الحضاري للأدب "-د. شكري عياد-الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٣. دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية – عباس محمود العقاد- مكتبة غريب
١٤. الرؤيا المقيدة "دراسات في التفسير الحضاري للأدب "- د. شكري عياد-الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٥. شعرية التأليف بنية النص الفني وأنماط الشكل التأليفي – بوريس أوسبنسكي – ترجمة سعيد الغانمي وناصر حلاوي – المجلس الأعلى للثقافة – ١٩٩٩
١٦. شمس وليل – محمود تيمور – المطبعة النموذجية
١٧. صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر – أنور الجندي – مكتبة الأنجلو المصرية –الطبعة الأولى ١٩٧٩
١٨. الصور البيانية بين النظرية والتطبيق-د. حفني محمد شرف –دار نهضة مصر- الطبعة الأولى ١٣٨٥ه-١٩٦٥م
١٩. الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغى عند العرب د. جابر عصفور - المركز الثقافى العربى ط ١ ١٩٩٢
٢٠. الطرازالمتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز – يحيي بن حمزة العلوي –مطبعة المقتطف ١٣٣٢ه-١٩١٤م
٢١. الفضاء الروائى-- جنيت - كولد نستين - رايمون - كريفل - بورنوف / أويلى - آ يزنزفايك - ميتران - ترجمة - عبد الرحيم حزل - أفريقيا الشرق ٢٠٠٢- المغرب
٢٢. فن التشبيه – على الجندي – مكتبة الأنجلو المصرية – الطبعة الثانية ١٩٦٦
٢٣. فنون التصوير البياني في البلاغة العربية –أ. د توفيق الفيل – مكتبة الآداب القاهرة – الطبعة الثانية ١٩٩١ه
٢٤. في علم الاجتماع الأدبي بين النقد الأدبي وعلم الاجتماع – د. السعيد الورقي – د. محمود كسبر – دار المعرفة الجامعية
٢٥. قضايا النقد الأدبى بين القديم والحديث - د. محمد زكى العشماوى - دار المعرفة الجامعية ١٩٩٨م
٢٦. كتابة الصورة – محمد مختار الجنوبي – المجلس الأعلى للثقافة – ٢٠٠٠
٢٧. اللغة بين المعيارية والوصفية - د. تمام حسان - طبعة القاهرة ١٩٥٨
٢٨. اللغة والثقافة (دراسة أنثرولغوية لألفاظ وعلاقات القرابة فى الثقافة العربية - د. كريم زكى حسام الدين - دار غريب ط٢ ٢٠٠١
٢٩. المثل السائر – ضياء الدين بن الأثير- تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة –دار نهضة مصر – القاهرة – الطبعة الثانية -١٣٧٩ه—١٩٥٩م
٣٠. المجتمع وقضايا اللغة - د. محمد السيد علوان -دار المعرفة الجامعية ١٩٩٥
٣١. مقدمة في نظرية الأدب –د. عبد المنعم تليمة –دار الثقافة – ١٩٧٦
٣٢. منهج الواقعية فى الإبداع الأدبى - د. صلاح فضل - مؤسسة المختار - الطبعة الثانية ١٩٩٨
٣٣. نظرات في النفس والحياة – عبد الرحمن شكري – جمع ودراسة عبد الفتاح الشطي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٦
٣٤. النظريات الأدبية - دراسة فى الأدب المصرى المعاصر- د. محمد شبل الكومى - تقديم د. محمد عنانى - الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٣
٣٥. نظرية الأدب دراسة فى المدارس النقدية الحديثة - د. شفيع السيد- مطبعة العمرانية للأوفست ٢٠٠٣ -

٣٦. -نظرية الأدب واللغة عند سلامة موسى – د. بارك جاي وون صالح – تقديم د. عبد المنعم تليمة – مكتبة الأداب – الطبعة الأولى ١٤٢٨ه-٢٠٠٧م
٣٧. نظرية التلقي أصول ... وتطبيقات - د. بشرى موسى صالح – المركز الثقافي العربي – الطبعة الأولى-٢٠٠١-
٣٨. النقد الأدبى الحديث أصوله واتجاهاته - د. أحمد كمال زكى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٢
٣٩. النقد والنقاد المعاصرون – د. محمد مندور- دار نهضة مصر – ١٩٩٧
٤٠. وظيفة الوصف في الرواية- عبد اللطيف محمود- الدار العربية للعلوم – الطبعة الأولى -٢٠٠٩